

دَحْوَةُ الْحَقِّ

إِسْتِخْلَافَاتٌ
أَدُمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

د. علي محمد نصر

السنة السابعة - العدد ٧٦ - رجب ١٤٠٨ هـ - فبراير ١٩٨٨ م

دَعْوَةُ الْحَقِّ

اِسْتِخْلَافَات

آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

د. علي محمد نصر

السنة السابعة - العدد ٧٦ - رجب ١٤٠٨ هـ - فبراير ١٩٨٨ م



التقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فإنني أستلهم الرشد من الله تعالى فيما أنا بصدده من البحث في قصة استخلاف أبي البشرية آدم عليه الصلاة والسلام واستعين برأي على انجاز ما شرعت فيه بعد أن وجدتني منشراح الصدر منبسط النفس للبحث في هذا الموضوع الذي نجد آياته في سورة البقرة أكثر من غيرها من الآيات في غيرها من السور .

وإنما كان اختياري لهذا الموضوع مع كثرة ما فيه من المباحث وتشعبها على الباحث وتعدد مسالكه وكثرة مزالقه ، لأن هذا البحث في نظري من الأهمية بمكان فهو يشد الانسان إلى قدر نفسه . ومكانته عند ربه وأنه أهل لأن يكون خليفة الله في أرضه دون الجن والملائكة المقربين فعليه أن يقيم موازين العدل وأن يحسن الصلة بينه وبين خالقه الذي نصبه خليفة حتى يكون قد أدى مقتضيات الخلافة التي نيّطت به ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مِنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ .

كما أن هذا البحث فيه رد لكثير من الشبه الواردة على خلق آدم عليه السلام والواردة على جنته وفيه رد على الشيعة بشأن الخلافة

والنص على عليّ رضى الله عنه وغير ذلك مما خالف الكتاب
والسنة .

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه
الكريم محمود البدء والنهاية مكللاً بالقبول من أساتذتي أصحاب
الفضل والمنة شكر الله لهم وجزاهم عنى وعن خدمة العلم والدين
خير الجزاء فلا زلت أدين لهم بالفضل واعترف لهم بالجميل .
كما أسأله تعالى أن يجعله باكورة خير لما بعده من بحوث حتى
يكون قطرة من بحر . إنه على كل شىء قدير وهو نعم المولى ونعم
النصير .

د / علي محمد نصر

بين يدي البحث

الكلام في استخلاف آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام تتسع آفاقه وتبعد غاياته وتمتد نواحيه وتقف دونه الألفاظ والمعاني حاسرة كليله وهل في وسع باحث مثلي أن يحيط خبراً بحقيقة ما جرى بين آدم ومولاه فلا يعلم حقيقة المراد من كلام الله إلا الله الحكيم الخبير الذي أحاط بكل شيء علماً .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ومع كل هذا فقد خلق الله العقل وجعل له مجالاً ينشط فيه ويدور في إطاره الذي لا يتعداه : يبحث وينقب ويقابل ويقارن ويحقق ويدقق ويختار الأقرب ويهجر البعيد ، فتارة يخطيء وتارة يصيب وطوراً يكلل وأحياناً يزل .

إذا لم يكن عون من الله للفتى

فأول ما يجنى عليه اجتهاده

وعلى أن أطلب العون من الله تعالى حتى يتم ما كلفت به من البحث مرضياً مقبولاً إن شاء الله .
يارب أيدني بفضلك واكفني

شطط العقول وفتنة الأفكار

وقد رأيت من الأحسن أن أسير في هذا البحث على نمط

الترتيب الذى ورد به القرآن الكريم بشأن استخلاف آدم عليه وعلى نبيينا أفضل الصلاة والسلام فى سورة البقرة التى تتجلى فيها قصة استخلافه عليه السلام أكثر من غيرها من السور مع التعرض لبعض الحقائق التى ذكرت فى السور الأخرى ولم تذكر فى سورة البقرة وذلك مثل لفظ الروح الذى ورد ذكره فى سورة الأعراف وغيرها ومثل مادة الخلق فى قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ الذى ورد فى سورة «ص» .

وذلك يكون عندما تكون هناك مناسبة تدعو للتعرض لتفسير تلك الحقائق حتى يستوعب البحث أو يكاد الكثير من الحقائق التى تفرقت فى القرآن الكريم بشأن هذا الموضوع .
ومع التعرض لبسط القول بذكر أقوال العلماء وآرائهم فى الأمور التى هى محل الخلاف مع اختيار أقربها إلى الصواب . بعد مقارنة الأدلة وعرضها على ميزان العقل الذى يستنير فى اختياره بأصول الشرع ومبادئ الدين بعد تجريده من كل فكرة عصبية وبعد تحليته ونفسه ليصدر فى اختياره عن هدى وبصيرة لا عن عصبية وهوى . والله هو الهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

قصة استخلاف آدم عليه السلام :

يا أبى وأبا البرية بسم الله يستفتح أحد أبنائك أبواب جنتك ويستأذن كرم أبوتك أن يمثل بين يديك فى خلوتك وبقدرته سبحانه يستعين على طي آلاف السنين ويركض جواد الشوق إليك متغلباً فى ثنايا أحشاء القرون ليشهد فى أبوتك الكريمة آية آية وليتحدث

فيك إلى الأنام يا أبا الأنام .

أما بعد فإن واجب الأبوة على البنوة يحتم على أن أتحدث إليك قليلاً في بنيك وذرائك قبل أن أتحدث إليهم فيك مستحضراً في حديثي إليك أنى ماثل بين يديك .

إنهم يا أبى كعهذك بابنيك هايبيل وقابيل فيهم البر والفاجر والأمين والشاطر والمؤمن والكافر والصالح والطالح . والجرم والتقى والذكى والغبي . ظلام ليل تحتشد فيه النجوم الطالعة وغناء سهل تتخلله الثمار اليبانة عنصرها خير وشر يتنازعان فلا يتفقان ولونا نور وظلام يتنافران ولا يلتقيان يعمل الشر على أن ينتقم من الخير ويأبى إلا الظفر ليظل ويدوم ويجد الظلام لكى يحو آية النور ... ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

صنف عنصرهم الشر قد اختبر الله بهم البشر يا أبا البشر قاموا وهم اليهود الأبالسة ومعاونوهم يعتدون على الناس بعد أن تجردوا من الإنسانية ويدكون حصون الحرية والمدنية باسم الحرية والمدنية . وبشت هذه المدنية الوحشية التى تقض مضاجع البشرية وتهدم وتأتى على بنيان الحرية وتسفك الدماء وتمنع الحقوق وتعطل الشعائر الدينية .

يتظاهرون بأنهم أصحاب الحقوق وهم المغتصبوها . ويظهرون بمظهر الدفاع عن الشعوب وهم الظالموها .

لقد أساءوا إلى الإنسانية بانتسابهم إليك ، فأنت آدم وليسوا من الآدمية فى شيء ، وأنت الانسان يا أبا كل إنسان وأنى لهم عاطفة الإنسانية وأنس الانسان أولئك حزب الشيطان الا إن

حزب الشيطان هم الخاسرون .

«عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطيء»

فهلا دعوت لأبنائك يا أكرم أب بعد إذ أجاب الله دعوتك
وقبل توبتك ومن الآباء تقبل الدعوات ألا دعوت ربك أن يخلص
الانسانية من هؤلاء الدخلاء وفاقدى الضمير وميتى الاحساس ،
وأن يبصر بنيك إلى المهمة التى خلقوا من اجلها . وأن يعرفهم
بمكانيهم حتى يقوموا بما نيظ بهم من واجب وما علق بهم من
مهمات .

هنالك ترى الانسانية فى أكرم عيش وأحسن حال قد توفرت
لها أسباب الحياة الكريمة حياة العزة والكرامة والآن بعد أن تحدثت
إليك يا أبى فى ذريتك استميتك الاذن لأتحدث إليهم فيك وفى
الحق إني أتمتع بقربك الآن يا أبا البشر لله أنت ما ابدعك وما
أروعك رفيع الهامة آدم البشرية ساحر النظرة حسن الشارة حكيم
العبارة رأيتك فنظرت فيك نفسى . وحاورتك فلقيت فى حوارك
عقلى واطمأننت إليك فوجدت فى عطفك ولطفك وجدانى وقلبي .
إذن فأنا وأنت وهو قد امتدت إليه قدرة القادر فألقت فينا بين
العناصر المتنافرة مادة وروح ، وظلمة ونور وحيوانية وملائكية
جمعت كل أولئك فى خلق عجيب سمته الانسان فكان أنطق آيات
بالحجة والبرهان ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ .

وما أبدع أن يكون الانسان نفسه حجة والآن قد فطنت يا أبا
البشر لم كنت حجة الله البالغة على الملائكة إذ تحدثوا إليه فيك وكان

من أمرهم ما كان كما قصه علينا القرآن الكريم إذ يقول :

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾^(١)

كما ذكر ذلك في سورة الأعراف إذ يقول :

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين .

(١) من آية ٣٠ إلى الآية ٣٨ سورة البقرة .

قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ، قال أنظرنى إلى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين . قال فيما أغويتنى لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال اخرج منها مذعوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين . وبأدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لها الشيطان ليبدى لها ما وورى عنها من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين . فدلّاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخضفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهماكما عن تلكما الشجرة وأقلّ لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون . يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴿١﴾ .

وقد قص القرآن الكريم هذا أيضاً فى سورة طه فقال :

(١) من آية ١١ إلى آية ٢٧ من سورة الأعراف .

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى . فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنت لا تظلم فيها ولا تصحى . فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإذا يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإنه له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .﴾ (١) وقد ذكرت قصة آدم عليه السلام أيضاً بسورة الحجر والاسراء والكهف و ص .

هذه هي الآيات التى تتجلى فيها قصة استخلاف آدم عليه السلام فى الأرض التى خلقها الله فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يُبرأ آدم وذريته ليقطنوا الأرض ويعمروها . فأنبأ ملائكته أنه سينشئ خلقاً آخر تعمر بهم الأرض ويضرب نسلهم فى أرجائها ويخلف بعضهم بعضاً . ولما كانت الملائكة لا يدرون الحكمة من هذا الأمر العظيم كما قصه علينا القرآن

(١) من آية ١١٥ إلى آية ١٢٧ من سورة طه .

الكرّم ولا يعلمون سبب خلقه وقد أعلمهم الله تعالى أن المستخلفين
دونهم في التقوى والعبادة . توجهوا إليه تعالى قائلين :

﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك﴾ قالوا ذلك رغبة فيما يزيل شبههم وقد امتد رجاؤهم
أن يستخلفهم في الأرض لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما
يؤمرون . حينئذ أجابهم تعالى بما به يطمثون فقال ﴿إني أعلم ما لا
تعلمون﴾ وأعلم من الحكم في استخلاف آدم وذريته ما لا تدركون
وستعرفون ما خفي عليكم . ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين﴾ .

سوى الله آدم من طين من صلصال من حماء مسنون . ثم نفخ
فيه من روحه فصار بشراً سوياً يفعل ويدرك ويفهم ويعقل ويحس
وينتقل ثم عمه الله تعالى بفضله وأفاض عليه من نوره وعلمه أسماء
الكائنات كلها . ثم عرض هذه المسميات على الملائكة فقال :
﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ .

وإظهاراً لعجزهم وقصر مدى علمهم وإن آدم بذلك أجدر
ونخلافته لا تنكر . ولما ووجهوا بذلك أقروا بعجزهم وقصور علمهم
وقالوا ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم
الحكيم﴾ .

ولما كان آدم قد عل ونهل من فيض ربه واقتبس من نور علمه
فعلمه هذه الأسماء أمره تعالى أن ينبئهم بما عجزوا عن معرفته
ويخبرهم بما قصرت مداركهم من علمه تنوياً بشأنه وإظهاراً للحكمة
استخلافه فأعلمهم آدم بما عجزوا عنه فناداهم ربهم :

﴿ألم أقل لكم إني أعلم ما لا تعلمون﴾ حينئذ عرفوا حكمة استخلافه ثم أمر الله تعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام طاعة لأمر الله واحتراماً لآدم عليه السلام فسجدوا إلا إبليس فقد خالف أمر ربه وازدرى آدم عليه السلام فأبى واستكبر وكان من الكافرين .

ولما قال تعالى له بعد عصيانه ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين﴾ قال زاعماً أنه خير من آدم وليس من العدالة أن يسجد لمن هو أدنى منه منزلة ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ فعاقبه تعالى على مخالفة أمره وطرده من جنته وقال له ﴿اخرج منها فلنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ .

وبعد هذا اللعن وذلك الطرد أراد أن ينتقم اللعين من آدم ومن ذريته باغوائه ووسوسته فقال : ﴿رب أنظرني إلى يوم يبعثون﴾ فأجابه تعالى فقال ﴿إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وذلك بعد أن لم يجعل له سبيلاً على عباده المخلصين : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ .

ولما طرد الله تعالى إبليس توجهت عنايته تعالى إلى آدم فأسكنه وزوجه الجنة وحذرهما الشيطان الذي هو عدو لهما ونهاهما عن طاعته . وأباح لهما جميع ثمار الجنة الا ثمر شجرة من بين أشجارها الكثيرة وقد عرفها تلك الشجرة وأزال كل إيهام في شأنها أو شك في معرفتها . فعينها بالاشارة إليها وابعاداً لكل ريب في شأنها أو عدها بالدخول في زمرة الظالمين ان اكلا منها . ووعدهما ان يمدّهما بكل

أنواع النعيم إن اجتنبها فلا يمسها جوع ولا عرى ولا ينالها ظمأ ولا نصب قال تعالى : ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ . سكن آدم عليه السلام الجنة وجال بين رياضها وتمتع بلذيد ثمارها وتنفياً بظلالها وتمتع بجميع ما فيها وشاركته في ذلك زوجه حواء وعاشا على ذلك مدة يرشفان جميع مناهل السعادة .

آلم ذلك إبليس وحزنى نفسه وهو المطرود من رحمة الله بتكبره وامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام فدخل إلى الجنة ووسوس لآدم وأغواه وأمره بالأكل من الشجرة هو وزوجه حواء بعد أن أقسم لهما بأنه لهما من الناصحين . حيث إن الأكل من شجرة النهى يورث الخلد فى الجنة ونعيمها فقال :

﴿مَآئِمَّا كَمَا رَبَّكَمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ .

وإنما أقسم لهما ليؤكد لهما صحة نصحه ولا شك أنه ألح فى اغوائهما وبالف فى الاحتيال عليهما . فاغترا بقوله ومعسول وعده ونزلا على امره بالأكل منها حينئذ حرما البقاء فى الجنة :

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ الآيات ولما أنابا إلى الله وتابا وقالا : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ . قال تعالى : ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ وبعد أن تاب الله عليهما وغفر لهما قرت عينهما وانبثق الأمل فى نفسها ببقائها فى الجنة والتمتع بنعيمها .

وقد علم تعالى ما جال بخاطرهما فأمرهما بالهبوط وأنبأهما بأن العداوة بينهما وبين إبليس لا تزال قائمة ليحذرا فتنته فقال تعالى : ﴿اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإذا يأتيكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ ومن هنا إنتهى طور النعيم الخالص .
وابتداً طور آخر فيه هدى وضلال وإيمان وكفر وفلاح وخسران فمن اتبع هدى الله الذى شرعه وسلك الصراط المستقيم فلا خوف عليه من وسوسة الشيطان ومن نأى عن ذكر الله وحاد عن سبيله فسيكون عيشه ضنكاً وسيكون من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . وإلى هنا انتهى الكلام الاجمالى لقصة آدم عليه وعلى نبيينا أفضل الصلاة والسلام^(١) .
والآن يحسن أن نتكلم على حادث آخر واجه آدم وحواء عليهما السلام بعد أن استقر بهما المقام على ظهر البسيطة وهو نبا ابنيهما هابيل وقابيل لأن لهذا النبا مسامساً بشأن خلافة الإنسان فى الأرض حيث كان هذا النبا نتيجة للميل عن سنن الخلافة فأهريق أول دم على وجه الأرض بسبب اغواء إبليس الذى عمل جاهداً ليثأر لنفسه من ذرية عدوه آدم عليه السلام .

(١) انظر عرض قصة آدم عليه السلام فى قصص القرآن للأستاذ محمد أحمد جاد المولى .

نبأ ابني آدم :

لما كان نبأ ابني آدم أول حدث يتمثل فيه الخروج عن منهج الخلافة من أحد ابني آدم عليه السلام والالتزام به من أحدهما أقول : لما هبط آدم عليه السلام وزوجه إلى الأرض وبدأ حياتهما فيها أخذ نظام الحياة يستكمل لما تهيأت حواء لاستقبال بنينا أول زهرة تفتحت في رياض الانسانية . ولتسعد مع زوجها وتأنس بهم وقد كان لها كبير الأمل في رؤية فلذات الأكباد تدب على الأرض كما كان آدم حفيا بأبنائه وحواء مستبشرة بقلوبهم رغم ما قاست من أهوال وآلام . إلا أنها لا تلبث حتى يدفعها بلسم العطف والحنان بيده فإذا هي قريرة العين باردة الفؤاد .

وضعت حواء توأمين أحدهما قابيل وأخته . والآخر هابيل وأخته ففرح بهما الأبوان وقاما برعايتهما وسهرا على تربيتهما بما يجب عليه نحوهما إلى أن شب هابيل وقابيل وبلغا مبلغ الرجال . ورغب كل منهما إلى قرن للحياة به تكون متعة الحياة .

فشرع تعالى لآدم أن يزوج كل فتي من بنيه بتوأم أخيه وبهذا أوعز آدم إلى أبنائه لولا جموح التزعة البشرية والغريزة الانسانية التي قوامها الحرص الطمع وقد أمر الانسان أن يكبح جماح نفسه ولما أسر آدم بمكنون صدره إلى ابنه ثار قابيل لأن نصيبه أقل جلالا من نصيب أخيه ومن هنا ابتدأ الشقاق بين الأخوين فقد أعرض أحدهما عن طاعة أبيه وما كان يتصور ذلك من ذي قبل وتوزعت نفسه بين رغبة ابنه والابقاء على السلام بينهما إلى أن هداه الله تعالى إلى وسيلة التوفيق بينهما فأمرهما بأن يقرب ويقدم كل منهما قربانا إلى

الله تعالى فأيهما قبل قربانه كان أحق بما اشتبهى فقرب هابيل جزعه
سمينة وكان صاحب غنم وقرب قابيل حزمة زرع ردىء وكان زرعه
قمحا وكل منهما يأمل بأن يفوز بمراة دون أخيه وكان هابيل موفق
الخطى موفور الحظ فتقبل قربانه دون أخيه لأنه لم يدعن لحكم أبيه
ولم يخلص النية فى قربانه بعد ذلك غضب قابيل عند ضياع أمله
وراح ضحية الحقد والأثرة فعمل على قتل أخيه وقال له لأقتلك
حتى لا أصاحبك شقيا وأنت سعيد . فقال هابيل لأخيه والألم يملأ
قلبه كان أولى لك يا أخى أن تتعرف موضع الداء فتحسمه لأن الله
تعالى لا يتقبل الا من المتقين .

وقد كان هابيل شديد الشفاق على أخيه . وكان فى نفسه قوة
مستمدة من الله تعالى فما يضيره تهديد أخيه المفتون ولكنه ترك
المقادير تجرى فى اعتها فقال : ﴿لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا
ببأسط يدى إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن
تبوأ بائمى وأتمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾ لم
يعتبر قابيل بما صدر من أخيه من حكيم القول وغالى النصيح
فطوعت له نفسه قتله فأصبح من الخاسرين بهذا القتل العمد
والعدوان الناشئ عن الحقد والحسد وعدم الرضا بالشرعة التى
شرعها الله تعالى لأبناء آدم عليه السلام .

ولما قتل أخاه وحمله لم يدر كيف يوارى سواته وناء بحمله .
بعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سواة أخيه .
حينئذ ندم على حمله وقال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا
الغراب فأوارى سواة أخى فأصبح من النادمين .

وقد اختلف العلماء في كيفية قتله فقال بعضهم ضربه بحديدة
فقتله ويرد على هذا بأن الحديد لم يكن معروفا في الأزمان الماضية
القديمة .

وقال آخرون رمى على رأسه صخرة وهو نائم فشدخته وقيل بل
كان يخنقه وبعضه إلى أن مات .

ورأيت في بعض الكتب أن ابليس تمثل لقابيل فأخذ حجرا
كبيرا وألقاه على أخيه فقتله وهذا يقوى القول الثاني مع ما فيه من
حرص ابليس على الانتقام من ذرية آدم وهو ما طلب من أجله
الإنظار إلى يوم البعث وإليه أميل .

وهذا القتل تحمل قابيل وزره ووزر كل قاتل إلى يوم القيامة لأنه
سن سنة القتل ولم يكن يعرف القتل إلا منه .

وقد روى الامام أحمد بسنده إلى ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم (لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم
الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل) وقد ذكر أهل
التواريخ والسير أن آدم حزن على هابيل حزنا شديدا حتى قال فيه
شعرا منه :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
قتل قابيل هابيل أخاه فوا أسفاه للوجه الصبيح

وقول الشعر كلام غير مسلم لأنه نبي والشعر مزر بالعلماء فكيف
الأنبياء .

بداية قصة آدم

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
 في هذا الموضع من هذه الآية مسائل : كما في القرطبي .
 الأولى : إذ : معناها ظرف للزمن الماضي تأتي للتوقيت كإذا إلا
 أن إذا ظرف للزمان المستقبل وقد يستعمل أحد الطرفين مكان الآخر
 فإذا جاء إذ مع المستقبل كان معناه ماضيا نحو قوله تعالى : ﴿وَإِذْ
 يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ معناه إذ
 مكروا وإذ قلت .

وإن جاءت إذا مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله تعالى :
 ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ﴾^(١) ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾^(٢) أى
 تنجى .

وإذ مبنية لشبهها بالحرف وضعا وافتقارا وتأتى بعدها الجملة
 الاسمية أو الفعلية . الاسمية نحو قوله تعالى : ﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتُمْ
 قَلِيلٌ﴾^(٣) والفعلية نحو قوله تعالى : ﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ
 مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾^(٤) وهى ملازمة للظرفية ويستفاد الزمان منها بأن
 يكون ثانى جزئها فعلا أو يكون مضمونها مشهورا بالوقوع فى الزمان
 المعين وذكر فى البحر أنها لا تقع مفعولا به أو حرف تعليل أو مفاجأة
 أو ظرف مكان أو زائدة وذكر العلامة الألوسى أن فى ذلك
 خلافا^(٥) .

(١) آية ٣٣ من سورة عبس . (٢) آية ٣٤ من سورة النازعات .

(٣) آية ٢٦ من سورة الأنفال . (٤) آية ٧٤ من سورة الأعراف .

(٥) انظر فى ذلك القرطبي والألوسى عند تفسير الآية .

واختلف فى اعرابها هنا : فقليل زائدة ونسب هذا إلى أبى عبيد
والتقدير وقال ربك وانكر هذا القول الزجاج والنحاس وجميع
المفسرين قال النحاس وهذا خطأ لأن اذ اسم وهى ظرف زمان ليس
مما تتراد وقد قيل أنها بمعنى قد وهى فى موضع رفع أى ابتداء خلقكم
إذ . أو فى موضع نصب بمقدر أى ابتداء خلقكم إذ أو أحياءكم إذ .
والأحسن أن تكون منصوبة بقالوا الآتى أى قالوا اتجعل فيها من
يفسد فيها . فهى ظرف منصوب بقول الملائكة وقد قيل يحتمل أن
تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره . واذكر اذ قال ولعل هذا هو
الأحسن . حيث أنه عليه السلام هو المقصود بالأخبار^(١) (ربك)
ومن معانى الرب . المالك والسيد والمصلح والجابر وفى اضافة الرب
إلى ضميره عليه الصلاة الرب . المالك والسيد والمصلح والجابر وفى
اضافة الرب إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لطف ظاهر وفيه رمز
إلى أن المقبل عليه بالخطاب له الفضل الأعظم ولولاه ما خلق آدم
ولا غيره وقد استدلل الألويسى بعد ذكر ذلك مرجحاً ما ذهب
إليه^(٢) .

الثانية : قوله تعالى (للملائكة) الملائكة جمع ملك . قال ابن

(١) القرطبي ص ٢٢٤ ج ١ كتاب الشعب وأبى السعود ص ٧٩ .
(٢) الألويسى ج ١ ص ٢١٨ والقرطبي وأبو السعود عند تفسير هذا الموضع من هذه
الآية وقد روى الحاكم وصححه ج ١ ص ٦١٥ والحافظ السيوطى فى الخصائص
النبوية وصححه ج ١ ص ٦ والبيهقى فى دلائل النبوة وهو لا يروى الموضوعات
ما يدل عليه هذا وفيه ولولا لآدم ما خلقتك والحديث أيضاً فى البداية والنهاية لابن
كثير ج ١ ص ٨١ .

وفى الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى ج ١ ص ٢٣ .
وفى مفاهيم يجب أن تصحح ص ٤٦ لمحمد علوى المالكي .

كيسان وزنه فعل لأنه من الملك فالهمزة زائدة وقال أبو عبيدة أن وزنه مفعّل من لاك إذا أرسل مصدر ميمي بمعنى المفعول أو اسم مكان على المبالغة وفي هذا الاشتقاق بعد ولم يشتهر لاك وكثر في الاستعمال الكنى إليه أى أرسلنى . وقد اعتبره مهموز العين وأن أصله الاكنى فاصل ملك على هذا مالك الهمزة فاء الفعل فإنهم قلبوها إلى عينه فقالوا ملاك ثم سهّلوه فقالوا ملك . والألوكة والمألكة الرسالة قال ليبد :

وغلام أرسلته أمه يألوك فبدلنا ما سال
وقال عدى ابن زيد كما فى اللسان مادة الك :

أبلغ النعمان عنى مالكاً إنه قد طال حبسى وانتظارى
وقيل أصله ملاك من ملك يملك نحو شمال من شمل فالهمزة زائدة وهو عن ابن كيسان وقد قال النضر بن شميل لا اشتقاق للملك عند العرب والهاء فى الملائكة قيل للمبالغة كعلامة ونسابة والأحسن أن تكون لتأكيد تأنيث الجمع وإنما كانت للتأكيد لا أصل التأنيث للفظ الملائكة كالظلمة لا اعتبارهم التأنيث المعنوى فى كل جمع فهو بتأويل الجماعة .
قال الشاعر :

لا أبالى بجمعهم كل جمع مؤنث
وقد ورد بغير تاء فى الشعر قال :

أبا خالد صلت عليك الملائك

ثم من هم الملائكة المخاطبون بهذا القول ، فقليل كلهم أخذنا من عموم اللفظ وقيل ملائكة الأرض لأن الموضوع الخلافة فى الأرض

وقيل إبليس ومن كان معه والملائكة أجسام لطيفة نورانية
﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١) .

الثالثة : قول الله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ﴾ .
وهي عبارة عن الحكمة في خلق الخليفة وهو آدم عليه السلام ثم
المادة التي خلق منها آدم عليه السلام مع بيان بطلان قول
الأوربيين : (إن أصل الإنسان قرد ترقى . بعد بيان بطلان نظرية
النشوء والارتقاء) .

أولاً : الحكمة في خلق آدم عليه السلام
قال الحكماء : خلق الله الخلق ليظهر كمال علمه وقدرته بظهور
أفعاله المحكمة وليشرفهم بعبادته فإنه تعالى يحب عباده العابدين وإن
كان غنياً عن عبادة خلقه فلا تنقصه طاعة من أطاعه ولا تضره
معصية من عصاه قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا . إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾^(٢)
وليظهر جوده وعدله قال تعالى : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَحِيمًا﴾^(٣) .

وقال أبو الحسن القفال خلق الله الملائكة للقدرة والأشياء للعبارة
وخلقك للمحنة قال تعالى :

(١) انظر في ذلك الطبري والألوسي عند تفسير الآية .
(٢) من الآية ٥٦ إلى الآية ٥٨ - الذاريات . وقوله تعالى ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾
من آية ٦ التحريم وآية لا يستبقونه بالقول آية ٢٧ - الأنبياء .
(٣) آية ٤٣ سورة الأحزاب .

﴿الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ الآية ..
 ومنهم من قال خلق الله الخلق لأجل محمد صلى الله عليه وسلم .
 عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : أوحى
 الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : يا عيسى آمن بمحمد وأمر امتك
 أن يؤمنوا به . فلولاً محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار . ولقد
 خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد
 رسول الله فسكن .

وأقول عن هذا الحديث ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث
 الضعيفة والموضوعة . ثم قال : لا أصل له مرفوعاً . وإنما أخرجه
 الحاكم في المستدرک .

(٢/٦١٤ - ٦١٥) عن طريق عمرو بن أوس الأنصاري ثناء
 سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس
 قال : فذكره مرفوعاً وقال صحيح الاسناد وتعقبه الذهبي بقوله :
 أظنه موضوعاً على سعيد . قلت يعني ابن أبي عروبة والمتهم به الراوي
 عنه عمرو بن أوس الأنصاري - قال الذهبي في الميزان .
 «يجهل حاله ثم ساق له هذا الحديث وقال وأظنه موضوعاً
 ووافقه الحافظ بن حجر في اللسان وقره» .

إنتهى ما ذكره الألباني^(١) نعود فنقول عن معنى جاعل .
 فجاعل في الأرض بمعنى خالق في الأرض . ذكر ذلك الطبري
 عن أبي زورق .

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني حديث رقم ٢٨٠ المجلد الأول
 (ص ٢٩٧ - ص ٢٩٨) .

ويقتضى ذلك تعديها إلى مفعول واحد لأن الذى يتعدى إلى
مفعولين جعل بمعنى اعتقد قال ابن مالك فى الخلاصة .

انصب بفعل القلب جزأى ابتدا

اعنى رأى خال علمت وجدا

ظن حسبت وزعمت مع عد

حجا درى وجعل اللذ كاعتقد

فأناط نصب المفعولين بجعل الذى كاعتقد .

فجاء اسم فاعل من جعل بمعنى خلق ومفعوله خليفة وفى
الأرض نعت لخليفة تقدم عليه فيعرب حالا من خليفة لأن نعت
النكرة إذا تقدم عليها انتصب على الحال منها فهو على حد قوله :

لمية موحشا ظل يلوح كأنه خلل

والأصل لمية طلل موحش .

والأرض قيل أنها أرض مكة لما روى ابن سابط عن النبى ﷺ

قال : دحيت الأرض من مكة ولذلك سميت أم القرى فعلى هذا
آل فى الأرض للعهد الذهنى إذ لم يتقدم مصحوب العهد قبل ذلك
والمعهود أرض مكة .

ثانياً : (المادة التى جعل منها آدم عليه الصلاة والسلام)

اخبرنا القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه بأن الله تعالى خلق آدم من طين قال تعالى فى سورة «ص» ﴿وَإِذْ
قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّ خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ كما أخبر جل
جلاله فى كتابه الكريم أيضاً انه خلق الانسان الأول من صلصال

من حملاً مسنون . فقال في سورة الحجر : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حملاً مسنون﴾ .

وقال تعالى أيضاً في سورة الصافات : ﴿أهم أشد خلقاً أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب﴾ .

ومعنى هذه الآيات كما ذكره المفسرون أن الله كون هيكल آدم عليه السلام أولاً من طين كما اخبر في سورة «ص» وهذا الطين صالح لبناء الهيكل فهو لازب أى متماسك كما اخبر في سورة الصافات ثم مضت مدة على هذا الطين بعد تصويره حتى أتنن فالحمأ الطين والمسنون المتنن ثم مضت مدة هذا الحمأ المسنون حتى صار صلصالاً أى طيناً يابساً له صلصلة أى صوت حين يطرق كما يصوت الفخار . وهذا هو ما ذكره جل جلاله في سورة الحجر وهذه هى الأطوار التى مرت بآدم عليه السلام قبل نفخ الروح فيه وبهذا يتبين أن المادة التى خلق منها آدم عليه السلام هى الطين .

وقد جاء في صحيح الترمذى بالاسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير أول البقرة «إن الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والحديث والطيب» وقد قال الترمذى بعد روايته قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وهذا الحديث يفسر أن أصل الانسان التراب الذى هو أصل الطين كما ذكر تعالى هذا في قوله في سورة الحج .

﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإننا خلقناكم من

تراب^(١) ﴿ وهذا الذى ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم وحدثنا به . الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وهو أن آدم عليه السلام خلق من طين من تراب فذلك ما يؤيده الواقع وبقرة العلم الحديث وثبته التحاليل الكيماوية .

وقد قال ابن العربى فى شرح حديث الترمذى السابق فى الفائدة الأولى فى طبيعة خلق آدم وقد ذكرها الله فى كتابه فى عدة مواضع ووصفها كما فطرها فلا تطلبها من غيره ولا ترد فيها ولا تنقص منها فانها كلها تضليل واكثرها اباطيل .^(٢)

«معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم» واعجاز للقرآن الكريم

فما أومأت إليه آفا من أن العلم الحديث والتحاليل الكيماوية توافق الآيات التى تذكر أن أصل آدم التراب والطين معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن هناك آنئذ علم حديث أو تحاليل كيماوية معروفة له صلى الله عليه وسلم أو لغيره وفيه أيضاً اعجاز للقرآن الكريم حيث أنه ذكر ذلك قبل أن يظهر العلم الحديث والتحاليل الكيماوية المختلفة بأكثر من ألف عام ويعجبني ما ذكره الأستاذ البهى الخولى فى هذا المقام فى كتابه «آدم عليه السلام» ولنفاسته تذكره بنصه فيما يلى :

(١) آية ٥ من سورة الحج .

(٢) شرح الترمذى لابن العربى ج ١١ ص ١٥ ، ص ١٦ . وقد ذكر ابن كثير فى قصص الأنبياء أن هذا الحديث رواه أحمد على أبى موسى وأبى داود وابن ماجه .

قال في معرض الكلام عن خلق آدم عليه السلام :

عناصر الطين في الانسان :

أما إنه خلقه من طين أو تراب فذلك ما يفيدہ الواقع ويقره العلم وتثبتہ التحاليل الكيماوية فلو انك أخذت قبضة من تراب الأرض الخصبه واجريت عليها عملية التحليل الكيماوى لوجدتها تتركب من ستة عشر عنصراً

ولو أخذت قطعة من جسم الانسان واجريت عليها التحليل لوجدتها كذلك تتركب من ستة عشر عنصراً هى نفس العناصر التى تتركب منها تربة الأرض وهذه العناصر هى ما يأتى بحسب نسبة وجودها فى جسم الانسان .

الاكسجين ٦٣,٠٣٪ الكربون ٢٠,٢٠٪ الأيدروجين ٩,٩٠٪
التروجين ٣,٥٪ البوتاسيوم ١١٪ الكالسيوم ٢,٤٥٪ الفوسفور
١,٠١٪ الكلور ٠,١٦٪ الكلور ٠,١٤٪ الكبريت ٠,١٤٪
الصوديوم ٠,١٠٪ المغنسيوم ٠,٠٧٪ الحديد ٠,٠١٪ واثار ضئيلة
من كل من اليود والسيليكون والمنجنيز .

انتهى كلامه . وهذه النسبة الضئيلة لمجموع اليود والسيليكون والمنجنيز بعد جمع ما تقدم تساوى النسبة المثوية الآتية التى لا تصل إلى ٠,٥٪ وهى : ٠,٤٣٢٪ فهى ضئيلة جداً كما ذكر وهذا معنى الاعجاز والمعجزة لكلام الله ولرسول الله ﷺ .^(١)

(١) انظر كتاب آدم عليه السلام « للبهى الحولى » .

«آدم عليه السلام ونظرية داروين»

بعد أن ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أكثر من مرة في سور متعددة انه خلق آدم عليه السلام من تراب وهذه الآيات في كثرتها التي يتكرر مدلولها كلما تكررت يميل العقل عادة أن يكون المراد منها غير ما تدل عليه كما هو الحال في التواتر. يدل على ذلك أن هذه الآيات قطعية الثبوت قطعية الدلالة لما أن مدلولها أمر عقلي لا يحتمل النقيض أى دليل عقلي قطعى وقد شاع اعتقاد هذا المدلول لهذه الآيات سلفاً وخلقاً حتى كان اجماعياً .

وبعد أن تحدث صلى الله عليه وسلم بمدلول هذه الآيات في احاديثه وهو الصادق المصدوق المعصوم من الكذب وبعد أن اثبت الواقع والعلم والتحليل الكيماوية أن عناصر الانسان هي عناصر التراب سواء بسواء بعد هذا كله ظهر رأى فى البلاد الأوربية يقول لا خالق هذا الكون وإنما وجد بالطبيعة وأن أصل الانسان قرد ترقى وقد تزعم هذا الرأى وذب عنه داروين حتى عرف رأيه هذا بنظرية داروين بعنتقه الكثير من الأوربيين وغيرهم وصار له انصار يدافعون عنه وسأتكلم عن شبههم التى نتج منها أوهام علمهم ونظرياتهم وبالتالي نرد على هذه الشبه حتى تكون نظريتهم أوهى من بيت العنكبوت. وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، لو كانوا يعلمون .

الشبهات الواردة على وجود الله تعالى ونقضها :

الشبهة الأولى : بنوا هذه الشبهة على ما يأتى :

١ - أولاً يقول الداروينيون : ان علم التشريح المقارن

للحيوانات وعلم الأجنة وعلم الحفريات كلها تجمع على أن الكائنات متدرجة في نموها من أصغر ذرة إلى الإنسان تدرجاً طبيعياً على حسب قانون الترقى وبقاء الأصلح . وهذا كله دليل على انها لا تحتاج لقدرة خالقة .

وقد ساقوا أدلة على أن الانسان متطور من جده القرد كما يزعمون .

وقالوا أولاً لا يمكننا أن نفسر وجود تراكيب أثرية في الانسان الا إذا آمنا بنظرية التطور . فمثلا عضلات الاذن في الانسان لا فائدة فيها ولا وظيفة لها ولكنها تماثل العضلات الموجودة في الحيوانات التي تحرك آذانها كالخيل لتلتقط الأصوات من الاتجاهات المختلفة .

وكذلك توجد في الانسان فقار عصبية في نهاية عموده الفقري وتشير إلى ذيل اختفى في الانسان وان كان المشاهد وجود اطفال يولدون ولهم ذيل يستأصله الأطباء بعملية جراحية .
٢ - ثانياً : يقولون أن الجنين في بطن امه يأخذ الأطوار التي كانت عليها الاسلاف في الأزمنة الغابرة فإذا كان الانسان قد خلق خلقاً مستقلاً خاصاً به فلماذا نجد في جنينه خياشيم وفتحات خيشومية يندفع فيها الدم من قلب يشبه قلب الاسماك . الا إذا كان يحكى لنا عن اسلافه ويعيد تاريخ نفسه .

مما يدل على أن التطور هو السبيل الذي سلكته هذه الحيوانات في ظهورها وأنها والأسماك انحدرت من أصل واحد .

٣ - ثالثاً : ويقولون انهم بدراستهم الحفريات وجدوا أن أقدم

الطبقات تحتوى على حفريات الكائنات البسيطة التركيب وكلما كانت الطبقة أحدث كانت الكائنات التى تحتويها الحفريات أرقى وأقرب إلى الكائنات التى لا تزال حية حتى ظهرت أرقى الكائنات فى العصر الحالى .^(١)

ملخص النظريات التى بنى عليها مذهب داروين واتباعه»

قبل الانتهاء من ذكر شبههم اجمل نظرياتهم فيما يلى :

الحقيقة الأولى : تتولد الأحياء بنسبية هندسية بالتكاثر .

الحقيقة الثانية : مع هذا يميل عدد من الأفراد فى نوع أن يظل مع الزمن البعيد ثابتاً إلى حد ما .

وهم يستتجون من الحقيقتين السابقتين ما يأتى :

التنافس بين الأفراد وبين الأنواع يقلل عدد الأفراد . «وهذا هو التنافس فى سبيل البقاء»

الحقيقة الثالثة :

يقولون أن جميع الأحياء تميل إلى أن تصير مختلفة اختلافاً يذكر وليس ثمة حيوان متشابهان كل التشابه وبعضها مختلف اختلافاً بيناً حتى ولو كانا من نوع واحد . ومع أن هذه الاختلافات ليست جميعاً مما يورث فإن تجارب التربة تدل على أن بعضها يورث

(١) انظر فيها تقدم « التفسير الموضوعى » لفضيلة الشيخ السامحى عند تفسير آيات خلق الإنسان .

واستنتجوا من هذه الحقائق : بناء على أن هناك تنازعا في سبيل البقاء وأن الأفراد ليست جميعها متشابهة فإن بعض وجوه الاختلاف تدوم لأنها تمنح صاحبها شيئا من التفوق أما الضروب الضعيفة فتبيد وتفتنى . وهذا هو الانتخاب الطبيعي .

النتيجة لكل ما سبق إذا :

الانتخاب الطبيعي - يستمر ماضياً من جيل إلى جيل فتجتمع فروق قليلة تكون كثيرة في مجموعها وهذا هو التطور . هذه هي النظرية المادية في تكوين الأشياء وتدرجها لا تخضع إلا لقانون التطور القائم على «تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي» .

الشبهة الثانية :

النواميس الطبيعية ثابتة لا تحتاج إلى خالق .

مرجع هذه الشبهة :

١ - يقول الدكتور بخترا الألماني : لا يمكن أن يتصور أحد أن تتفق حكمة أزلية مع نواميس طبيعية ثابتة فإما أن تكون النواميس هي الحاكمة وإما الحكمة الأزلية فإن كانت الحكمة الأزلية هي الحاكمة فلا لزوم للقوانين الطبيعية وإن كان العكس فإن ذلك ينفي كل تدخل سماوي .

وقال إنه لم يشاهد أبداً حتى في أبعد مدى في الفضاء الذي يمكن أن يشاهد بالتليسكوب حادثة شاذة عن نظام النواميس فيها يمكن القول بوجود قوة مطلقة لها التأثير على الكائنات مع تميزها

عنها .

٢ - ويقول هوتشن كثل : كل ما فى الوجود من أول ذرة الهباء إلى عقل الانسان محكوم بقوانين ثابتة لا تتغير وبناء عليه فلا صانع للوجود .

الشبهة الثالثة :

وجود الشذوذ فى الطبيعة دليل على عدم وجود الخالق .
يقول جيبيل : إن الأستاذ فوغت شاهد وجود حيوانات خنثى لها أعضاء تناسل الجنسين معاً لا يستطيع الفرد منها أن يلقح نفسه فلأى حكمة وجد هذا التركيب . إن هذا دليل على عدم الحكمة الأزلية . وأيضاً توجد الزائدة الدودية التى يعمل الانسان على استئصالها لما يعانیه من ضررها .

الشبهة الرابعة :

وجود الأشياء ثابت ولا دليل على وجود الخالق .
يقول ليتريه : لما كنا نجهل أصول الكائنات وبصائرهما فلا يليق بنا أن ننكر وجود شيء سابق عليها أو لاحق لها كما لا يليق بنا أن نثبت ذلك بمعنى أننا إن لم نذكر وجود الحكمة الالهية فلا تتعرض لاثباتها فنحن على الحياد التام بين النقي والاثبات . وهذا موقف سلبي لا يكتفى فى العقائد .

٢ - ثم يأتى بعد هذا الفيلسوف العصرى صاحب كتاب الله والانسان - فيقول «كل شيء فى الدنيا له سبب الباب يصفق لأن الريح تهب والريح تهب لأن هناك تخلخلًا فى طبقات الجو لا اختلاف

درجات الحرارة في الهواء كل شيء سبب لما بعده ونتيجة لما قبله ثم قال : إن قانون السببية يغمر حياتنا الحسية المحدودة فقط ولكنه لا ينطبق على الكون ككل فالوجود موجود والعدم معدوم ولا حاجة لهذا الكون إلى خالق مبدع . أى إن الوجود ممتد إلى الأبد والأزل ولم يكن منعماً في أى وقت حتى نسأل من الذى خلقه .^(١)

«الرد على هذه الشبهة»

بالنظر في هذه الشبهة وبالنظر في أدلة القرآن الكريم نجد القرآن الكريم اهتم هؤلاء الدليل الواضح الذى لا يعتره شبهة . لقد اعتمد هؤلاء كما هو ظاهر على أن العالم متدرج في الخلق طورياً بعد طور جامده ونباته وحيوانه يتحكم فيه قانون الأسباب والمسببات والعلل والعلولات وإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة لخالق مبدع .

فإذا قلت لهم ما سبب وجود هذا العالم قالوا إنه لا يحتاج إلى سبب يوجدفه فهو وجود بالذات والأصل هو الوجود والعدم والعدم محال . فإذا جاء آخرون وقالوا إن هذا العالم لو كان من صنع إله مبدع حكيم لما وجد فيه شيء من غير حكمة وقد وجدت أمثلة كثيرة لم تجد لها من حكمة أصلاً .

وهذا دليل على عدم وجود القدرة الحاكمة .

إذا قالوا ذلك نجد تضارب النظريتين واختلافهما .

ذلك لأن الأولين عندهم وجود النظام والابداع هو دليل

(١) المرجع السابق نفسه وانظر كتاب «فلسفة النشوء والارتقاء» للدكتور شبلى شميل .

الاستغناء عن وجود الخالق . أما الآخرون فإن الشذوذ في الطبيعة وعدم الحكمة في بعض أفرادها دليل وجود الخالق .
فإذا قلت للأولين إن القوانين الماردة الموجودة تحتاج إلى مقنن
أخذ بناصيتها وقلت للآخرين إنكم لم تحيطوا بكل حكمة ارادها
الخالق وجم هؤلاء وهؤلاء .

ونقول للفريق الثالث الذى لا يتعرض لنفى الخالق ولا لاثباته كما
هو شأن المذهب الحسى هؤلاء والذى يتحفظ كل التحفظ في
الحكم على ما ليس بمحسوس لاقراره بجهله المطلق في هذا الشأن .
كما نقول للفريق الرابع الذى يقول أن الوجود موجود أولاً فلا
حاجة لخالق يوجده ويدبره بل لكل فريق منهم نقول هؤلاء جميعاً
بتأن : اما وصل عقلكم مع تقدمكم الفكرى كما تدعون ومع ما أنتم
عليه من البحث والدراسة ونضوج الفكر إلى ما وصل إليه رجل
البادية العربى حين سئل عن دليل لوجود الله فقال :

«البهرة تدل على البعير وأقدام السير تدل على المسير فسماء
ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا تدل على السميع البصير» ..
ولو سألت هؤلاء جميعاً : (أيجوز فى العقل أن تكون هناك
سفينة محملة بالأنقال مليئة بالرمال فى يم متلاطم الأمواج وظلمات
فى بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات
بعضها فوق بعض وهى تحيط بها العواصف والرياح والقواصف
تجربى فى اتجاهها لا تلعب بها الأمواج ولا تغير اتجاهها الرياح بدون
بحار يقودها ويحفظ اتجاهها ثم هى لا تزال كذلك مادامت فى
مسيرها لا يختل نظامها حتى تصل إلى نهاية جريانها .

لو سألت هؤلاء جميعاً هذا السؤال لأجابوا جميعاً :
«أن هذا ليس بمعقول ولا يمكن أن يكون» .

وإذا انكروا سير السفينة بدون بحار يقودها مع سلامتها من
العطب فلم لم ينكروا هذا الانكار بالنسبة لهذا العالم الفسيح مع ما
فيه من عوالم مختلفة لا حصر لها ومع تعقيد البالغ وبذا يثبتون
الخالق المدبر لهذا لكون كما يقول به المسلمون .

﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجرى في البحر
بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس
لرؤوف رحيم﴾^(١)

وهذا هو القرآن الكريم في أسلوب سهل واضح يقول : ﴿قل
سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾^(٢) ليلفت نظر العقل
البشري إلى أنه لا بد للعالم مع وجود الأسباب والمسببات من قدرة
قاهرة هي السبب الأول الذي يخالف كل الأسباب المخلوقة له .
فتلأ : الانسان مخلوق من ذكر وانثى والذكر والانثى متوقف
على تلاقى الخلية الذكرية بالبويضة الأنثوية وكلاهما متوقف على
الذكر والانثى وهكذا .

وإذا توقفت العلة على معلولها في سلسلة وجودية حددها الزمن
إذ لا بد لها من علة أولية ناشئة من طبيعة غير الطبيعة القائمة .
إذن لا بد من تدخل قدرة قادرة حولت الطبيعة من وضعها
الأول إلى وضعها الحالي وهكذا كل شيء في الحياة .

(١) آية ٦٥ سورة الحج .

(٢) آية ٢٠ من سورة العنكبوت .

فوجود الحياة نفسها فى النبات والحيوان حالة كونها ناشئة من عناصر لا حياة فيها دليل أكبر دليل على تدخل قادر حى وهبها طبيعة غير طبيعتها الأولى :

ولو نظرت إلى العناصر نفسها لوجدتها مكونة من الذرات ولوجدت الذرات مكونة هى كذلك من الالكترىون والبريتون وغيرها ولوجدتها مفتقرة إلى مكون لها آخذ بناصيتها فالتعبير القرآنى من عرى أمى لم يبلغ علمه من الاكتشافات مبلغ علمنا اليوم دليل قاطع على انه من عالم الغيب والشهادة الحكيم الخبير .

ثم انظر إلى القرآن يشير إلى أن الانسان مخلوق لا بد له من خالق وان السموات والأرض يستحيل أن تكونا مخلوقتين إلا لله جل جلاله ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾^(١)

وإليك بعض الآيات من هذا القبيل . قال تعالى :

﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾^(٢) ﴿فلينظر الانسان مم خلق﴾^(٣) ﴿إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج﴾^(٤) . الآيات ﴿أفرأيت ما تمنون﴾^(٥) الآيات بعد هذه الآيات .

أراد هؤلاء أن يعللوا اشتقاق الأنواع من أصولها من غير قدرة فعلوها بآثار البيئة والانتخاب الطبيعى وتنازع البقاء وسمو التطور .

(١) الآيات ٣٥ ، ٣٦ من سورة الطور . (٢) آية ٤٩ من سورة الذاريات .

(٣) آية ٥ من سورة الطارق . (٤) آية ٢ من سورة الإنسان .

(٥) الآيات من ٥٨ إلى ٧٢ من سورة الواقعة .

لكن نظام الوراثة فى الأنواع وقف فى طريقهم وانهارت كل تعللاتهم أمام العلم نفسه وكأن القرآن الكريم لم ينزل فى بيئة عربية فى وسط الصحراء وإنما نزل بعد أن استوفى هؤلاء بحوثهم ليردهم على أعقابهم ويقرر لهم العلم بعد دراستهم له .

أليس ذلك وحده دليلاً على أنه منزل من العلم الخبير الذى دبر الأشياء وخلقها . إن التشابه الذى اعتمدوا عليه والتطور فى الجنين وعلم الحفريات والتشريح كل ذلك يوافق القرآن ولا يناقضه إذ كان المدير هو الله وحده ﴿ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت﴾^(١) فالله هو الخالق على وفق علمه وحكمته والسنن التى أودعها فى أرضه وسماؤه .

ووجود هذه السنن مخالفة التأثيرات الطبيعية التى يقولون بها دليل كبير على ابطال دعواهم . والا فكيف تتقل الحشرة من دودة إلى شرنقة إلى فراشة طائرة .

ثم انظر أيضاً كيف يتكون الجنين فى بطن أمه فى ظلمات ثلاث لا ينفذ منها النور ولا الصوت ولا الاحساس بما فى الوجود يتكون فى صورة خاصة صالحة له بطباع خاصة وغمائر خاصة ﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء﴾ .

ثم بعد هذا كله استراب علماء هذا المذهب المادى انفسهم فى نظرية النشوء والارتقاء وعارضوها بأمثلة من واقع الحياة كما يتضح فيما يلى :

(١) آية ٣ من سورة الملك .

«استرابة علماء النشوء والارتقاء ومعارضتهم لنظريتهم»

لقد استراب علماء النشوء والارتقاء في نظريتهم وإليك ما يدل على ذلك من كلامهم :

١ - باستور سأله سائل : «كيف يا دكتور نستطيع أن نوفق بين استكشافاتك العلمية والتعاليم الدينية ؟» .

فأجاب أعلم بأن دروسى بدلاً من أن ترزعزع اعتقادى جعلتنى فى إيمانى كالفلاح البريطانى (مثل يضرب لشدة الاستمساك) وباستور هذا صاحب كتاب (التجارب فى الاختبار) .

٢ - هارفى : مستكشف دوران الدم فى البدن : ما شرحت حيواناً إلا وجدت فيه شيئاً جديداً وأدلة جديدة على العناية الإلهية .

٣ - الأستاذ : جولين «يقول أن مذهب لامارك ومذهب داروين يستويان فى القصور لأنها لا يقران التحول من الحياة المائية إلى الأرضية ولا بالتحول من الحياة الأرضية إلى الحياة الهوائية قال فكيف استطاع الحيوان الزاحف وهو سلف العصور أن يناسب البيئة التى ليست له أو لا يمكن أن تكون له إلا بعد أن يتحول إلى عصفور .

أما مسألة الحشرة فهى أشد استحالة من ذلك فليس هناك علاقة من جهة علم الحياة بين الدودة وبين الحشرة الكاملة التى تنقلب إليها لأن الدودة اعتادت الحياة فى الماء وتحت الأرض فكيف تصل بالتدرج إلى إيجاد أجنحة لجسمها تصلح للطير فى الهواء للمعيشة فى البيئة الهوائية التى كانت مجهولة لها وبعبدة عنها . سبحانه هذا بهتان عظيم . وتبارك الله أحسن الخالقين .

«الرد على الشبهة القائلة إن أصل الإنسان قرد ترقى»

هذه الشبهة فى تكوين الإنسان يزعم صاحبها أن الإنسان متدرج من فصيلة الحيوانات الفقرية بدليل ما فيه من أعضاء أثرية وبالأخص من القرد الراقى بدليل التشابه الكبير بينه وبين القرد حتى قال بعض الناس إن الدم الذى يجرى فى عروق الإنسان رغباً عن مخالفته لدم القردة المنحطة فإنه يشبه إلى حد كبير دم النوع الراقى منها ولذا حكموا أنه متسلسل من الأصل الراقى من القردة والرد على هذه الشبهة . إن كل ما قالوه ليس فيه دليل واحد يحتم النتائج التى وصلوا إليها إنما هى ظنون واحتمالات لا تعارض القطعيات .

فإذا أخبر خالق الكون وقال إنى خلقت الإنسان على وضع كذا وثبت قوله بالدليل القطعى الذى لا مرية فيه وحسب قبول قوله لأن المسألة سماعية وليست عقلية وهذا التشابه فى الشعر والدم والخلايا والأعضاء متى ثبت أنه من خالق واحد مبدع فإنه يدل على أن الخالق خلقها على طريقته الخاصة به والتى أرادها حسب الحكمة الالهية . فسيحانه هو الخالق البارئ المصور .

يقول هؤلاء أن الأعضاء الصوتية فى القردة الراقية تشبه الأعضاء الصوتية فى الإنسان لولا أن كيسين غشائيين قائمين إلى جانب حنجرة القرد يعترضانه إذا أراد الكلام .

لكن إذا كان الأمر كذلك وقد تقدم الطب حتى وصل إلى نقل قلب الميت إلى مكان القلب الذى لصاحب القلب المريض ومثل القلب غيره من بقية الأعضاء فلم لا يعمل هؤلاء عملية جراحية

للقردة تزيل هذين الكيسين حتى تصبح القردة أناساً تتكلم .
إن ملكة الكلام قائمة بالنفس الانسانية أولاً ثم بالتعبير عنها
بحركة اللسان ثانياً ومهما كانت قدرة الحيوان من الذكاء فإنها محدودة
بطبيعة غددته المخية ولا يمكن أن يصل إلى ذكاء الانسان الذى أخذ
يغزو الفضاء ويرتاد الكواكب . وأخيراً نذكرهم بما قاله الله تعالى في
كتابه الكريم :

﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ .
يقول سبورن في هذا المجال : « بين جميع الأشياء التى لا يمكن
ادراكها فى الكون يقف الانسان فى الطليعة وبين الأشياء التى لا
يمكن ادراكها فى الانسان تتركز الصعوبة الكبرى فيما له من مخ
وذكاء وذاكرة وآمال وقوة كشف وبحث وقدرة على تذليل
العقبات .

ونقول أيضاً لأصحاب النشوء والارتقاء أن النشوء والارتقاء لو
كانا كفيلين مع طول الزمن بارتقاء القرد إلى إنسان لما وجد اليوم على
وجه الأرض قرد راقى أو منحط لأن الزمن الذى مضى من بدء
الخلية كفيل بهذا وأزيد بكثير من هذا حتى لو فرض أن هناك كائناً
حساساً أرقى من الانسان لكان الزمن كفيلاً بالوصول إليه كما
يقولون .

لقد استعملوا الظن والعقل مع النص وإن الظن لا يغنى من
الحق شيئاً :

يا رب أيدنى بفضلك واكفى

شطط العقول وفتنة الأفكار

الكلام فى الخليفة ووجوب نصبه

هذا وبعد الاتيان على هذه الشبهة ودحض هذه الحجج الواهية وابطال هذه النظريات الكاذبة المبينة على الظنون والاحتمالات التى لا تعارض القطعيات واثبات أن هذا الكون لا يصدر من نفسه بل لابد له من خالق ليس كمثله شئ وهو السميع البصير .

وإن هذا الخالق الحكيم هو الذى خلق الانسان الأول من تراب على طريقته الخاصة التى أرادها وعلى الصورة التى هو عليها منذ خلق آدم عليه السلام وعلى الطريقة التى ذكرها سبحانه فى قوله تعالى : ﴿لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم﴾^(١) . بعد هذا نعود إلى تفسير قوله تعالى ﴿خليفة﴾ من قوله جل جلاله ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ فى هذا الموضع مسائل :

الأولى : فى معنى خليفة : والخليفة من يخلف غيره فهو بمعنى فاعل أى يخلف من كان قبله من الملائكة أو غيرهم كما روى ويجوز أن يكون بمعنى مفعول أى مخلف كما يقال ذبيحة بمعنى مذبوحة . والهاء فى خليفة للمبالغة لا للتأنيث ولذلك يطلق على المذكر والمؤنث والخلف بالتحريك من الصالحين وتسكينها من الطالحين ومنه قول النظار هذا خلف أى باطل . ومن الأول قولهم فى المدح والثناء خير خلف لخير سلف .

وقول الله تعالى للملائكة : ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ اخبار بامتنانه على بنى آدم وتنويه بذكرهم فى الملأ الأعلى قبل

(١) آية ٤ من سورة التين .

وجودهم وتعليم للمشورة لكنها مستحيلة عليه تعالى وقد خاطبهم بذلك لاستخراج ما فيهم من رؤية التسبيح والتقديس والعبادة ثم ردهم إلى قيمتهم فقال ﴿اسجدوا لآدم﴾ وقد قرئ خليفة وهي قراءة زيد بن علي والمعنى بالخليفة والخليفة هنا في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم عليه السلام .

فقد كان خليفة الله تعالى في امضاء أحكامه وأوامره وخالف ابن كثير القرطبي فقال : ليس المراد بالخليفة آدم عليه السلام وجده . (١)

الثانية : في وجوب نصب الخليفة : لا خلاف بين الأئمة ولا بين الأمة في وجوب نصب الخليفة لتنفيذ أوامر الله تعالى وإقامة حدوده بدليل هذه الآية وآية ص ﴿يادادود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ وآية (النور) ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ أى يجعل منهم خلفاء إلى غير ذلك من الآيات هذا وقد أجمع الصحابة على تقديم أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعنهم اجمعين بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بنى ساعدة في التعيين حتى قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير . فدفعهم أبوبكر وعمر والمهاجرون عن ذلك وقالوا لهم إن العرب لا تدين إلا لهذا الحى من قريش ورووا لهم الخبر في ذلك وهو (الأئمة من قريش) فرجعوا وأطاعوا فلو كانت الإمامة غير واجبة لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه المناظرة

(١) انظر ابن كثير والقرطبي عن تفسير الآية .

والمحاورة عليها ولقال قائل إنها ليست بواجبة لا في قرش ولا في غيرهم فما لتنازعكم وجه ولا فائدة في أمر ليس بواجب .

ثم ان الصديق رضى الله عنه لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر في الخلافة ولم يعارضه معارض فدل هذا على وجوبها وأنها ركن من أركان الدين لا يصلح أمر المسلمين إلا به وهو مذهب الخلف والسلف من أهل السنة ولم يخالف في ذلك إلا الأصم حيث كان عن الشريعة أصم وكذلك كل من قال بقوله واتبعه فقد قال إنها غير واجبة بل يسوغ ذلك وأن الأمة متى أقامت حججها وجهادها وتنصفت فيما بينها وأقامت الحدود على من وجبت عليه كفاها هذا ولا يجب عليها نصب امام يتولى ذلك .

وقد خالفت الرافضة في أن آيات الخلافة أصل في نصب الامام وقالت نصب الامام واجب عقلاً وأن السمع ورد مؤكداً لقضية العقل واما معرفة الامام بعينه فذلك طريقه السمع دون العقل . وهذا خلف لأن العقل ليس مصدراً للأحكام فهو لا يوجب ولا يحظر ولا يحسن ولا يقبح وإذا كان الأمر كذلك ثبت أنها واجبة من جهة الشرع وأن الشرع أصل لا من جهة العقل كما يقولون . والثالثة : في الطريق الذى يعرف به الامام : وقد اختلف في هذا فذهبت الإمامية وغيرها إلى أن الطريق في هذا هو النص من الرسول عليه السلام ولا مدخل للاختيار فيه .

وعند أهل السنة النظر طريق إلى معرفة الامام . والذين قالوا

(١) انظر القرطبي ص ٢٢٦ كتاب الشعب .

بالنص بنوا هذا القول على أصلهم الفاسد وهو أن الرأي والقياس والاجتهاد باطل لا يعرف به شيء أصلاً .

وقد اختلف هؤلاء فيما بينهم على ثلاث فرق .
فرقة تدعى النص على أبي بكر . واخرى تدعى النص على العباس . وثالثة تدعى النص على علي رضي الله عنه وعن أبي بكر والعباس وسائر صحابة رسول الله ﷺ .

«الدليل على فقد النص على إمام بعينه»

الدليل على ذلك هو انه ﷺ لو فرض على الأمة طاعة امام بعينه بحيث لا يجوز العدول عنه إلى خلافه لعلم ذلك لاستحالة تكليف الأمة طاعة الله تعالى في غير امام معين حينئذ .
وإذا وجب العلم به لم يخل ذلك العلم من أن يكون مصدره أدلة العقول أو الخبر . وليس في العقول ما يدل على ثبوت الامامة لشخص بعينه وليس في الخبر هذا أيضاً لأن الخبر إما أن يكون متواتراً يوجب العلم الضروري وإما أن يكون من أخبار الاحاد . ولا يجوز أن يكون طريقه التواتر الموجب للعلم ضرورة إذ لو كان كذلك لكان كل مكلف يعلم ضرورة وجوب الطاعة لذلك المعين وأن ذلك من دين الله عليه كما يعلم علماً ضرورياً وجوب خمس صلوات وصوم رمضان وحج البيت وغير ذلك من الضروريات كحرمة الزنا والقتل وعقوق الوالدين وليس هناك أحد يعلم ذلك من نفسه ضرورة فطلت هذه الدعوى وبطل أن يكون الامام معلوماً بأخبار الاحاد لاستحالة وقوع العلم بها ونقول للإمامية ومن وافقهم

أيضاً لو وجب المصير إلى نقل النص على الامام بأى وجه كان وجب اثبات امامة أبى بكر والعباس لأن لكل منهما قوماً ينقلون النص صريحاً فى امامته وإذا بطل اثبات الثلاثة بالنص فى وقت واحد بطل كذلك اثبات الواحد وإلا كان هناك ترجيح . يرون مرجح وإذا بطل ثبوت النص لعدم الطريق الموصل إليه ثبت الاختيار والاجتهاد .

الرابعة : «رد ما احتج به الامامية فى النص

على الامام على رضى الله عنه

مما احتجوا به قوله صلى الله عليه وسلم « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » :

وقد قالوا ان المولى فى اللغة بمعنى أولى ويفيد مع فاء التعقيب أن المراد بمولى أنه أحق وأولى وأنه صلى الله عليه وسلم أراد بذلك الامامة .

ومما احتجوا به قوله عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه (أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى) ومثله هارون من موسى معروفة وليس المراد بالمنزلة النبوة لأنها لم تكن لعلى أو الأخوة النسبية لأنها لم تكن لعلى أيضاً فعلم أن المراد بالمنزلة التى يشارك فيها هارون هى الخلافة حيث كان خليفة لموسى عليه السلام .

وذكر فى اتحاف ذوى النجابة أن هذا الحديث أخرجه الشيخان عن سعد بن أبى وقاص وأحمد والبخاري عن أبى سعيد الخدرى والطبرانى عن أسماء بنت عمير وأم سلمة وآخرين .

وبحاج عن الحديث الأول أنه ليس بمتواتر وقد اختلف في صحته بل قد طعن فيه أبو داود السجستاني وأبو حاتم الرازي واستدلوا على بطلانه بأنه صلى الله عليه وسلم قال : (مزينة وجهينة وغفار واسلم موالى دون الناس كلهم ليس لهم مولى دون الله ورسوله) فلو كان قد قال حديث الامامية لكان أحد الحديثين كذباً . وقال عنه ابن تيمية انه حديث موضوع وقال عنه ابن حزم لا يصح . وهذا ^(١) الحديث أخرجه الامام أحمد والترمذى والنسائى والطبرانى والضياء المقدسى في المختارة كما في إتحاف ذوى النجاة ^(٢) .

وبحاج أيضاً على فرض صحته بأنه ليس فيه ما يدل على الامامة وإنما يدل على فضيلة علىّ رضى الله عنه وذلك لأن المولى بمعنى الولي فعني الحديث من كنت وليه فعلى وليه . قال تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ أى وليه وكان المقصود أن يعلم الناس أن ظاهر علىّ كباطنه وتلك فضيلة عظيمة لعلىّ رضى الله عنه .

وبحاج كذلك على هذا الحديث بأنه ورد على سبب وذلك أن أسامة وعلياً اختصما فقال على لأسامة أنت مولاى فقال لست مولاك بل أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : «من كنت مولاه فعلى مولاه» .

إليك جواباً رابعاً : وهو أن علياً رضى الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم

(١) انظر القرطبي والعواصم القرطبي ص ٢٢٨ العواصم ص ١٩٦ .
(٢) انظر إتحاف ذوى النجاة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة لمحمد العرنى السطيفي المغربي المدرس بمدرسة الفلاح والحرم المكي الشريف ص ٢٤٣ وص ١٤٤ .

فى حادث الإفك فى شأن عائشة رضى الله عنها : النساء غيرها
كثير فآلمها ذلك وشق عليها فطعن المنافقون فى على رضى الله عنهم
وتبرأوا منه فقال النبى ﷺ هذا دفاعاً عن على وتكذيباً للمنافقين
فما أقدموا عليه من الطعن والبراءة من على رضى الله عنه . وقد روى
عن جماعة من الصحابة أنهم قالوا « ما كنا نعرف المنافقين على عهد
رسول الله ﷺ إلا ببغضهم لعلى رضى الله عنه » .

وبناء على الطعن فى الحديث بالوضع والحكم بعدم صحته
ويتطرق الاحتمال إليه على فرص صحته لا ينهض دليلاً للشبهة لأن
الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال كما هو مقرر .
وأما الحديث الثانى فيجيب عنه بأن النبى ﷺ لم يرد بمنزلة هارون
من موسى للخلافة بعده لأن هارون مات قبل موسى عليهما السلام
ولم يكن خليفة بعده وإنما خليفته يوشع بن نون فلو أراد الخلافة من
المنزلة لقال « أنت منى بمنزلة يوشع بن نون » ولما لم يقل هذا دل على
عدم ارادة الخلافة وإنما أراد أنت خليفتى على أهل بيتى فى حياتى
وغيبوتى عن أهلى كما كان هارون خليفة موسى على قومه حينما خرج
لنأجاة ربه وأخذ الألواح .

هذا وقد قيل أن الحديث خرج على سبب وذلك أن النبى ﷺ
لما خلف علياً فى غزوة تبوك على أهله بالمدينة قال المنافقون ما خلفه
إلا بغضاً وقلى له فالحق على رضى الله عنه برسول الله ﷺ وقال إن
المنافقين قالوا كذا وكذا فقال « كذبوا بل خلفتك كما خلف موسى
هارون » وقال « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى » .
وإذا ثبت أن المراد من الحديث الاستخلاف كما زعموا فقد

شارك علياً في هذا غيره لأن النبي كان يستخلف أحد أصحابه في كل غزوة غزاها . وقد ثبت أنه استخلف ابن أم مكتوم . ومحمد بن مسلمة . وروى ما يقابل هذا الحديث لأبي بكر وعمر . فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : «أبو بكر وعمر بمنزلة هارون من موسى» ويزيد هذا الخبر أنه ورد ابتداء وخبر عليٌّ ورد على سبب وهذا يكون أبو بكر .^(١) أولى من علي رضي الله عنهما بالإمامة^(٢) . وقال ابن العربي^(٣) وقد اجتمعت الأمة على أن النبي ﷺ ما نص على أحد يكون بعده .

ومما يذكر في هذا المقام بعد هذا كله أنه قال بالنص طريقاً لمعرفة الامام الخبئية وبعض أهل الحديث والحسن البصري وطائفة من الخوارج . وذلك أن النبي ﷺ نص على أبي بكر بالإشارة وأبأ بكر قد نص على عمر ونص عمر على ستة وعهد إليهم باختيار واحد منهم .

هذا ومن الطرق الموصلة إلى الامام اجماع أهل الحل والعقد . ومنها أيضاً تغلب من له أهلية الامامة على الامامة وأخذها بالقوة وبهذا الطريق تكون الطرق أربعة وبالطريق الأخير قال سهل بن عبدالله التستري وابن خوير منداد . كذا في القرطبي .

المغزى من قول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾
الظاهر أنه لم يرد بالخليفة آدم عليه السلام وإلا لما حسن قول

(١) وروى البخارى في باب فضل أبو بكر عنه عليه الصلاة والسلام من حديث ابن أبي

عباس «لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخى وصاحي» .

(٢) القرطبي ص ٣٣٩ . (٣) العواصم من القواصم لابن العربي ص ١٨٥ .

الملائكة تجعل فيها من يفسد فيها .. الخ .. فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم قالوا ذلك بعلم خاص أو بفهم للطبيعة البشرية أو بفهمهم لمنصب الخليفة أو قالوا ذلك قياساً على من سبق وقد قيل انهم قالوا ذلك بناء على ما رأوه من اللوح المحفوظ واحسن من هذا كله ما قيل من أنهم قالوا ذلك بناء على اخبار من الله تعالى .^(١)

قال الشهاب في حاشيته على البيضاوى^(٢) وإنما عرفوا ذلك اشارة إلى ما روى عن السدى رحمه الله تعالى «إن الله تعالى لما قال لهم ذلك قالوا وما يكون من ذلك الخليفة قال : يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويقتل بعضهم بعضاً» .. وهذا أسلم الوجوه ولذلك قدمه فإن اطلعهم على اللوح يرد عليه أن في اللوح أيضاً شرف بنى آدم وحكمة خلقهم فلو أخذوه منه لم يبق لهم شبهة وان كان مدفوعاً بأن الله منعهم من النظر إلى جميع ما فيه فإنهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون . وقد ذكر أن الاستنباط لا يقطع عرق الشبهة لأن ما ركز في عقولهم إما أن يكون مصدره اخبار الله تعالى أو النظر في اللوح وهذا يؤول إلى الأولى وإن كان مصدره العلم الضروري بأن لا يعصم أحد سواهم فهو خلاف الواقع أو نوعاً مطلقاً وان عصم بعض افراده كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو المراد ، لكن لا يلائم قوله لا علم لنا إلا ما علمتنا مع أن غاية ما يلزم من علمهم باختصاص العصمة يتم علمهم بصدور الذنب المطلق لا خصوصية

(١) انظر ابن كثير .

(٢) انظر حاشية الشهاب على البيضاوى .

الفساد وسفك الدماء والمطلوب هذا دون ذلك . إلا أن يقال وجه الاستنباط من أنهم علموا عصمتهم ورأوا تأليف الانسان يقتضى القوة الشهوية والغضبية المستلزمة للفساد وسفك الدماء ... (١)

وقول الملائكة هذا ليس غيبة ولا اعتراضاً ولا حسداً لبني آدم كما قد يتوهم لأنهم معصومون . وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسقون بالقول وهم بأمره يعملون . وهم لم يقولوا ذلك الا بعد أن أعلمهم الله أنهم يفسدون في الأرض .

وغيرهم من هذا القول ازالة ما عندهم من شبهة أو التعجب من استخلاف من يفسد لمعرفة الحكمة من الاستخلاف .

وقيل أنهم استفهموا بجذف المعادل أى أتجعل فيها من يفسد أم تجعل من لا يفسد .

وعلى كل فليست الهمة للانكار كما زعمته الحشوية مستدلين بالآية على عدم عصمة الملائكة لاعتراضهم على الله تعالى وطعنهم في بني آدم (٢) .

قال العلامة الألوسى في تفسيره (٣) ومن العجب أن مولانا الشعرانى وهو من أكابر أهل السنة بل من مشايخ أهل الله تعالى نقل عن شيخه الخواص أنه خص العصمة بملائكة السماء معللاً بأنهم عقول مجردة بلا منازع ولا شهوة وقال إن الملائكة الأرضية غير معصومين ولذلك وقع ابليس فيها وقع إذ كان من ملائكة الأرض الساكنين بجبل الياقوت بالشرق عند خط الاستواء فعليه

(١) انظر حاشية الشهاب على البيضاوى .

(٢) انظر الألوسى عند تفسير الآية . (٣) انظر الألوسى ص ٢٢١ ج ١ .

لا يبعد الاعتراض ممن كان في الأرض والعباد بالله تعالى ويستأنس له بما ورد في بعض الأخبار أن القائلين كانوا عشرة آلاف فترلت عليهم نار وأحرقتهم وعندى أن ذلك غير صحيح .

وأقول لعل هذا مدسوس على الشعراني من حاسديه فقد ذكر في كتابه الميزان . أن بعض حاسديه دسوا عليه كثيراً من مثل هذا . وكان يدفع هذا المدسوس بأصل مؤلفه الذي يحتفظ به .

وقيل أن القائل إبليس وقد كان حينذاك معدوداً في عداد الملائكة ويكون نسبة القول إليه على حد بنو فلان قتلوا فلاناً والقاتل واحد منهم .

هذا وقد ذكر بعض المفسرين : أن قول الملائكة هذا عبارة عن المعنى الذي قام بنفسهم . لأن الله تعالى لا يرى حتى للملأ الأعلى بنص القرآن الكريم على حد :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً بعد هذا نعود إلى تفسير الألفاظ واعرابها :

«من» في موضع نصب على المفعول والعامل تجعل والمفعول الثاني يقوم مقامه فيها ومن اسم موصول بمعنى الذي لفظه لفظ المفرد وقد يكون معناه جمعا قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ على اللفظ والمعنى . ويسفك معطوف على يفسد مرفوع مثله وروى أسيد عن الأعرج انه قرأ ويسفك الدماء بنصب يسفك يجعله جواب الاستفهام بالواو كما قال : ألم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والائحاء والسفك معناه الصب والاراقة ولا يستعمل إلا في الدم والدمع

حكى ذلك ابن فارس والجوهري .
وقد يستعمل في نثر الكلام أى ارساله نثراً .
والدماء جمع دم أصل لامة واو أو ياء وقد سمع قصره وتضعيفه
وقد جاء على الأصل : قال الشاعر :
فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين

﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ الجملة حالية في محل
نصب وهى حالة من الضمير الواقع فاعلاً في (أجعل فيها) وصيغة
المضارع للاستمرار وتقديم السند إليه على المسند الفعلى
للاختصاص .

والتسبيح في الأصل مطلق التبعيد والمراد به هنا تبعيد الله تعالى
وتزنيه عن السوء وعما لا يليق بجلاله .

وهو يتعدى بنفسه وباللام اشعاراً بالتعليل والاختصاص لله تعالى
فالمفعول المقدر هنا يمكن أن يكون باللام كقرينه وبدونها على
الأصل .

و (بحمدك) في موضع الحال والباء لاستدامة الصيغة والمعبة .
أى نخلط التسبيح بالحمد ونصله به .

وقيل معترضة بين الكلامين على وجهة التسليم . فالمعنى ونحن
نسبح ونقدس وأنت المحمود فى الهداية إلى ذلك (ونقدس لك)
التقديس فى المشهور مرادف التسبيح واحتاجوا لدفع التكرار إلى أن
أحدهما باعتبار الطلقات والآخر باعتبار الإعتقادات ويدور التظهير

مع التقديس حيثما دار كما يستفاد من القرآن الكريم^(١) .
والمراد بقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
الاستفسار عن المرجع أى أتجعل فيها وتستخلف من ذكر ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك لأننا معصومون .
فهم لم يقولوا ذلك عجباً أو تفاخراً حتى يضر بعصمتهم كما
زعمت الحشوية ﴿قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ أعلم يجوز أن يكون
فعلاً مضارعاً فما موصول مفعول لا علم وقيل انه اسم فاعل بمعنى
عالم كما يقال الله أكبر أى كبير وعلى هذا فما فى موضع خفض
بالإضافة .

والمراد بما لا يعلمون ما يضره ابليس من الكفر وعدم السجود
لآدم . أو ما يعلمه تعالى من أن المستخلفين يكون منهم الأنبياء
والشهداء والصالحون أو ما يعم هذا وغيره وهو الأحسن لأنه أخبر
عنه تعالى بقوله ﴿إني أعلم غيب السموات والأرض﴾ ويفهم من
كلام القوم قدس الله أسرارهم أن المراد بيان الحكمة من خلق نبي
آدم عليه السلام لأن بهم يظهر معنى الصفات والأسماء دون
الملائكة .

المراد بالتعليم والأسماء

قال تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ علم معطوف على قال

(١) يقول القرطبي ص ٢٣٧ وبناء قدس كيفما تصرف فإن معناه التطهير ومنه قوله تعالى :
﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾ أى المطهرة وقال تعالى ﴿الملك القدوس﴾ يعنى الطاهر
ومثله ﴿بالوادي المقدس طوى﴾ وبيت المقدس سمي به لأنه المكان الذى يتقدس
فيه من الذنوب أى يتطهر وقد ذكر أنه وقع بهذا المعنى فى الحديث والشعر العربى .

وفيه تحقيق لمضمون ما تقدم وقيل معطوف محذوف أى فخلق وعلم أو نفخ فيه الروح وعلم وابرز اسمه عليه السلام للتنبؤ به ذكره .
 وأدم . صرح الجواليقي بأنه إسم عربى ووزنه أفعل من الأدمة وهى السمرة أو البياض ومنع صرفه للعلمية ووزن الفعل وقيل أعجمى ووزنه فاعل وكثر هذا الوزن فى أسماء العجم كشالغ وآزر ويشهد لهذا جمعه على أوادم . والمراد بالتعليم هنا أن الله خلق فيه بموجب استعدادة علماً ضرورياً تفصيلاً بتلك الأسماء ومدلولاتها ووجه دلالتها . وقيل بأنه خلقه من أجزاء مختلفة مستعداً لادراك أنواع المدركات والأسماء جمع اسم وهو هنا يعنى العبارة وفى الأصل ما يكون علامة ودليلاً لأن الاسم يدل على المسمى فهو من السمة بمعنى العلامة واردة المعنى المصطلح فى النحو لا يصبح لحدوثه بعد القرآن الكريم .

والمراد بالأسماء إما اللغات على اختلافها أو أسماء المسميات ما كان وما يكون . إلى يوم القيامة وقيل المراد أسماء الملائكة أو النجوم وقال الترمذى أسماؤه جل جلاله قال الألوسى : والحق ما عليه أهل الله تعالى وهو الذى يقتضيه منصب الخلافة الذى علمت وهو أنها أسماء الأشياء علوية وسلفية جوهرية أو غرضية .

وقال أن خوريزمنداد فى هذه الآية دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفاً وأن الله علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلاً . قال ابن عباس علمه أسماء كل شئ حتى الجنة والمحب وعلى هذا فالواضع للغة هو الله تعالى وهو مذهب الاشاعرة خلافاً للمعتزلة الذين قالوا أن الواضع لها آدم عليه السلام وعلى أن اللغة توفيقية يكون آدم عليه

السلام أول من تكلم بالعربية بل أول من تكلم بجميع اللغات بتعليم الله تعالى له كما تقدم .

وقبل الانتقال من هذا الموضع من الآية إلى غيره ينبغي أن نذكر أن هناك خلافاً في أن آدم هذا هل هو أبو البشر ولم يكن أحد قبله من جنسه أم الأمر بخلاف هذا فنقول :

هل آدم هذا أبو البشر ولم يكن أحد قبله من جنسه والجواب ^(١) أن العقل لا يحيل هذا ويسوغ أن يكون الله تعالى خلق آدم غير هذا ولكن الله تعالى لم يذكر سوى آدم الذي نعرفه بأنه أبو البشر فالقول بوجود غيره مجازفة بدون برهان قاطع ولا يصح اعتقاده .

وقد وجد قديماً وحديثاً من يدعون أن عمران بلادهم أقدم من خلق آدم كأهل الهند وقد كانوا قديماً يدعون أن آدم هذا كان عبداً من عبيدهم هرب إلى الغرب وجاء بأولاده وإلى هذا يشير المعري بقوله :

تقول الهند آدم كان قنا لنا فسعى إليه محيوه
وإلى القول بوجود أودم سوى آدم هذا يشير بقوله :
جائر أن يكون آدم هذا بعده آدم إثر آدم
ويقول أيضاً :

وما آدم في مذهب العقل واحد ولكنه عند القياس أودم

(١) ذكر ذلك الأستاذ عبد الوهاب النجار جواباً على هذا السؤال في كتابه قصص الأنبياء .

وفى الناس فريق يرجح أنه ليس أول نوعه ويستأنس لذلك بقول الملائكة ﴿أَجْعَلْ فِيهَا مِنْ يَفْسُدُ فِيهَا﴾ ويقول أن هذا القول صدر بسبب رؤيتهم من تقدم آدم من الخلق الذين على صورته يقوم بالافساد وسفك الدماء وآدم خليفة عن بشر مثله كانوا من جنسه وكل هذه الأقوال لا تستند إلى نص قطعى الثبوت والدلالة . إن الذين يقولون أن آدم ليس أول نوعه يعززون أقوالهم بما يراه علماء الجيولوجيا من وجود بقايا عظام لآدميين تحالف عظام الآدميين الموجودين الآن ويسمون هذا الجنس الآدمى مباشرة بالإنسان (التياندرنالى) ^(١) وعلى كل فالمسألة لا تهمنا بشيء ولا يترتب على معرفتها كبير فائدة ولا يضر الجهل بها لأنها ليست من العقائد ولم يتبعدها الله تعالى بمعرفتها وحسبنا ما نعرفه من القرآن الكريم من أن آدم هذا أبوالبشر فحسب وهو ما عليه أهل السنة والجماعة والخلاف الذى ذكر لا يعتبر . وليس كل خلاف جاء معتبراً الا خلاف لفظ من النظر

معنى العرض والأنباء

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

اختلف أصحاب التأويل هنا هل العرض للأسماء أو الأشخاص .

قال ابن مسعود العرض للمسيبات وتذكير الضمير لتغليب ما

(١) انظر كتاب قصص الأنبياء للأستاذ : عبد الوهاب النجار .

اشتملت عليه من العقلاء وللتعظيم بتزليها منزلتهم في رأى على البعض الآخر. وقيل الضمير للأسماء باعتبار أنها المسميات مجازاً على طريق الاستخدام على حد.

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيته وإن كانوا غضاباً ومن قال أن الاسم المسمى قال الأسماء هي المسميات والضمير لها بلا تكلف ويرد عليه بأن انبثوني بأسماء هؤلاء يدل على أن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات لا عن نفسها والالقي انبثوني هؤلاء فلا بد أن يكون المعروض غير المسئول عنه فلا يكون نفس المسميات. والعرض في الأصل الظهور تقول في بيان ذلك عرضت الشيء فأعرض أى أظهرته فظهر ومنه عرضت الشيء للبيع. والذي يظهر من ظاهر الأنفاظ أن العرض للمسميات دون الأسماء بدليل التذكير في الضمير والسؤال عن الأسماء للأشخاص المعروضة وبدليل الإشارة هؤلاء لأشخاص المسميات. ولو كان العرض للأسماء لكان المعنى على ظاهر اللفظ انبثوني بأسماء هذه الأسماء وليس كذلك.

فقال انبثوني بأسماء هؤلاء :

ليس المراد بالأمر بانبثوني حقيقته بل المراد التعجيز عن فعل الأمور به وليس من التكليف بما لا يطاق.

وهذا التعبير إشارة إلى أن منصب الخلافة أبعد من العيوق وأعز من بيض الأنوق على الملائكة لأنهم لا يعرفون المسميات ولا أسماءها ولا مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق وغير ذلك مما

لا بد منه للخليفة الذى يقوم بذلك المنصب العظيم والأمر المحبوب .
 كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال وذنن حتوف
 الرجل حافية ومالى مركب والكف صفر والطريق محوف
 والأنباء فى الأصل مطلق الأخبار وهو الظاهر هنا . ويطلق بما
 فيه فائدة عظيمة ويحصل به علم أو غلبة ظن واختير هذا اللفظ دون
 اخبرونى أو اعلمونى مع انه يجرى مجرى كل لا يذان برفعة شأن
 الأسماء وعظم خطرها وهذا مبنى على أن النبأ يطلق على الخبر الخطير
 والأمر العظيم . ومنه النبى لأنه عظيم الشأن ثم هو يخبر عن الله تعالى
 «هؤلاء» إسم إشارة للجمع مطلقاً وهو مبنى على الكسر ولغة تميم
 وأسد وبعض قيس فيه القصر . قال الأعشى :

هؤلاء ثم هؤلاء أعطيت فعلاً محذوة بنعال .

وبعض العرب يقول هؤلاء . فيحذف ألف ها والهمز التالى لها .
 ﴿إن كنتم صادقين﴾ أى فيما اختلج فى خواطرهم من أنكم
 أفضل من كل خلق أخلقه واعلم . وهو تفسير مأثور عن ابن عباس
 اخرج ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الملائكة قالوا لن
 يخلق الله تعالى خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم . وقول الملائكة ﴿ونحن
 نسبح بحمده ونقدس لك﴾ دليل هذا التفسير : فان التسبيح يدل
 على أفضليتهم . والتقديس يدل على كمال علمهم .

وجواب أن محذوف يدل عليه انبثوى وهو مذهب سيبويه .
 وعند الكوفيين وأبى زيد أن الجواب هو هو المتقدم وهو انبثوى .
 وعليه فالجواب مذكور لا محذوف والشرط متوسط بين الفعل
 والجواب .

«اعتراف الملائكة بالعجز»

﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾

قوله هذا جواب عن قوله تعالى ﴿انبئوني﴾ فأجابوا بنبي العلم عن انفسهم واثبتوا لها علماً علمهم الله تعالى ﴿سبحانك﴾ معناه تنزيهاً لك أن يعلم الغيب أحد سواك فلا تتعاطى ما علم لنا به وغرضهم الاعتراف بالعجز ويؤخذ من هذا أن الواجب على من سئل عن علم لا يعلمه أن يقول الله أعلم أو لا أدري للتأسي بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء . فقد روى البستي ^(١) في المسند الصحيح له عن ابن عمر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي البقاع شر؟ قال : لا أدري حتى أسأل جبريل فسأل جبريل فقال لا أدري حتى أسأل ميكائيل فجاء فقال : خير البقاع المساجد وشرها الأسواق .

وسأل ابن عمر رجل عن مسألة فقال لا علم لي بها فلما أدبر الرجل قال : نعم ما قال ابن عمر . سئل عما لا يعلم فقال لا علم لي به . وذكر الهيثم بن جميل قال : شهدت مالك بن انس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري وسبحان مصدر منصوب وعامله من لفظه يحذف ويضمر وجوباً وذلك عند الخليل وسيبويه ومعنى المصدر نسبحك تسييحاً وقال الكسائي هو منصوب على أنه منادى مضاف حذف منه حرف النداء وقال الألوسي في تفسيره انه مصدر فعلة سبج مخفف بمعنى نزه ولا يكاد

(١) انظر فيما تقدم القرطبي والألوسي عند تفسير الآية .

(٢) كذا في القرطبي كتاب الشعب . وفي التعليق « وفي نسخة النسائي » .

يستعمل الا مضافاً إما إلى المفعول واما إلى الفاعل منصوباً باضمار
فعل وجوباً وجاء شذوذاً :

(سبحانه ثم سبحاناً نعوذ به وقبلنا سبح الجودى والحمد)
وقد ذكر أن مجيئه منادى مما زعمه الكسائى ولا حجة له .

وما موصولة حذف عائدها وهى منصوبة على الاستثناء وحكى
ابن عطية عن الزهرى انها فى موضع نصب على أنها مفعول به مقدم
على عامله وهو علمتنا ويوجه كلامه بأن الاستثناء منقطع فلا بمعنى
لكن وما شرطية . والجواب محذوف . والمعنى لا علم لنا أصلاً إلا
علماً علمتنا إياه وهذا أبلغ فى ترك الدعوى ﴿إنك أنت العليم
الحكيم﴾ تأكيد لمضمون الجملة السابقة فلما نفوا العلم عن أنفسهم
اثبتوه لله تعالى على أبلغ أوصافه مع اثبات الحكمة له حيث تبين لهم
ما تبين فى جدارة آدم عليه السلام بالخلافة وصلاحيته لها دون
سواه .

أنته الخلافة منقادة إليه تجرجر أذيالها

فلم تلك تصلح إلا له ولم يك يصلح الا لها

وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة أى لجامها لأنه يمنعها عن
الاعوجاج . وتقال للعلم لأن فيه هذا المعنى .

فمعنى الحكيم ذو الحكمة وقيل الحكم لمبدعاته فعلى الأول هو من
صفات الذات وعلى الثانى من صفات الأفعال كما فى البحر لأبى
حيان .

و «أنت» يحتمل أن تكون ضمير فصل فهو حرف لا محل له
وفائدته تأكيد الحكم والقصر المستفاد من تعريف المسند والبعض

يعبره تأكيداً للمسند إليه يفيد التقرير له وقد قيل انه مبتدأ خبره
العليم والحكيم إما خبر بعد خبر وأما نعت للعليم وحذف متعلقها
لإفادة العموم فهو العليم بكل شيء والحكيم في كل شئونه والعموم
أولى من غيره .

«إظهار فضل آدم عليه السلام» :

قال يا آدم انبئهم بأسمائهم .

بعد اظهار عجز الملائكة واعترافهم بأنهم لا يعلمون إلا ما
علمهم الله تعالى أراد تعالى أن يظهر فضل آدم واحقيقته للخلافة .
فقال يا آدم انبئهم بأسمائهم . وناداه تعالى باسمه العلم كما جرت
مخاطباته جل جلاله لسائر الأنبياء ما عدا نبينا ﷺ حيث ناداه
يا أيها النبي ، يا أيها الرسول لعلو مقامه وعظمة شأنه .

وأراد تعالى من آدم أن يوجه الأنبياء إلى الملائكة ليكون له فضل
المعلم وليكونوا له بمنزلة التلاميذ . فقال انبئهم ولم يقل انبئني كما قال
للملائكة انبئوني .

والانبياء هنا الاعلام لا مجرد الاخبار . أى أضيف إلى معلومهم
علماً جديداً وهذا دليل لمن قال أن علوم الملائكة وكلماتهم تقبل
الزيادة .

«هل الملائكة أفضل أم بنو آدم» :

وقد استدلل بهذه الآية من فضل بنى آدم على الملائكة بقول الله
تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرَةِ﴾
بالهمز من برأ بمعنى خلق والبرثة الخليفة وزنا ومعنى .

وقد فضل البعض الملائكة مستندلاً بقول الله تعالى في شأن الملائكة ﴿عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .﴾ ويقوله تعالى : ﴿لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾ وبما ورد في البخارى «من ذكرنى فى ملائكته فى ملائ خير منهم»^(١) وهذا نص فى أفضلية الملائكة .^(٢) والصحيح أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر .

﴿فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ .

جملة ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم﴾ معطوفة على جملة محذوفة للعلم بها للاختصار والايجاز «والتقدير فأنبأهم بها فلما ... الخ» ..

واظهار الأسماء فى موضع اظهارها لاظهار كمال العناية بها . وجملة ﴿قال ألم أقل لكم﴾ الخ جواب لما وفيها ايجاز ظاهر وتغيير الأسلوب فى جانب الكتمان لافادة استمراره . المستفاد من كنتم - لأن كان تفيد الدوام والاستمرار فى الغالب . ومن غير الغالب قوله تعالى ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ أى ثم كان شيئاً مذكوراً .

والآية بظاهرها تفيد العموم . ومع ذلك فقوله تعالى : ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ أعم مفهوماً . لشموله غيب الغيب الشامل

(١) ذكر هذا الحديث القرطبي دليلاً عن فضل الملائكة على بنى آدم ص ٢٤٧ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه ج ٩ ص ٢١٦ .

لذات الله وصفاته جل جلاله .

وبعض المفسرين خص غيب السموات بأكل آدم وحواء من الشجرة وغيب الأرض بقتل قابيل وهابيل .
ومعنى الكتم عدم اظهارها فى النفس لأحد ممن كان فى الجمع وليس المراد انهم كتموا الله تعالى شيئاً فإن ذلك لا يكون حتى من ابليس .

المراد بالسجود لآدم :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ .
الظرف متعلق بفعل يناسب المقام تقديره انقادوا أو اطاعوا .
والعطف هنا عطف القصة على القصة لتعدد النعمة . ولا يصح عطف الظرف هنا على الظرف السابق فى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ لاختلاف الوقتين والسجود فى الأصل التذلل بما يدل عليه من انحناء أو غيره وهو فى شرعنا وضع الجبهة على الأرض تذلاً لله تعالى .

واختلف المفسرون فى المعنى المراد هنا . فقليل المعنى اللغوى وليس هناك سجود بوضع الجبهة على الأرض . وقيل انه المعنى الشرعى والسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم أما قبله أو سبب وتكريم آدم وتفضيله على الملائكة بسبب كونه قبله وكالكعبة كان شرفها للاتجاه إليها فلا اعتراض لمن قال لو كان آدم هذا قبله ما امتنع ابليس لأن السجود لله تعالى لا لآدم وقد التبس هذا على إبليس .
وهناك من قال أن المسجود له حقيقة هو آدم عليه السلام

والسجود للمخلوق لم ينسخ إلا في شرعنا . وفيه أن السجود الشرعى عبادة وعبادة غير الله تعالى شرك محرم في جميع الأديان والأزمان .

وعندى أن السجود لآدم لم يكن عبادة وإنما المقصود تحية آدم وتعظيمه والاعتراف له بالفضل من الملائكة بعد كلامهم فيه وعبادة الله تعالى في إطاعة أمره حيث أمرهم بالسجود لآدم ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ وحيث أن الأمر كذلك فلا يضر السجود بأى وضع كان أى سواء كان بوضع الجبهة على الأرض أو بالانحناء . والتحية بالسجود إنما منعت في شرعنا وكانت جائزة في شرع من قبلنا ^(١) قال تعالى : ﴿وَرَفَعَ أَبْوَابَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ وإنما كفر ابليس بمخالفة أمر الله تعالى لا بمجرد عدم السجود وكان عدم سجوده نتيجة قياس قاسه وهو انه مخلوق من نار وآدم من طين فهو أقوى فكيف يسجد الأقوى للضعيف وكذب في قياسه وخاب فيه لأنه لا قياس مع النص وهو الأمر من الله تعالى .

قال تعالى : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ .

وبناء على ما عندى تكون اللام في لآدم للتعليل أى اسجلوا لآدم تعظيماً له وتوبهاً بشأنه مثل «أتيتك للماء والعشب» وقيل

(١) كانت تحية الأكاسرة السجود قدام الملك على الأرض وتقبيل الأرض كما ذكر ابن الحيمى في شرح ألفاظ التحيات . ص ٤٧ وشرح لفظ التحيات رسالة صغيرة لابن الحيمى ضمن ثلاث رسائل في اللغة تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

اللام للسيبىة مثلها فى قوله تعالى : ﴿ اقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ أى بسبب دلوكها . وقيل هى بمعنى الجهة فتؤدى معنى إلى . مثلها فى قول حسان رضى الله عنه .

أليس أول من صلى لقبلكم واعرف الناس بالقرآن والسنن وهذان المعنيان يقول بهما من يقول أن السجود لله تعالى لا لآدم . فآدم سبب فى السجود لله تعالى لما تجلى فيه من الحكمة الالهية فى خلقه . أو هو قبلة للعبادة كالكعبة اليوم .

﴿ فسجدوا ﴾ أى سارعوا إلى الامتثال وسجدوا فالفاء للتعقيب ﴿ إلا ابليس ﴾ ابليس اختلف فى اسمه هل هو اسم عرى أم هو أعجمى . فقيل انه أعجمى ممنوع من الصرف للعملية والعجمية وهذا قول الزجاج . وقيل انه عرى مشتق من الابلاس وهو اليأس من رحمة الله ومنعه من الصرف لكونه لا نظيره فى الأسماء . وهذا معترض بأنه ليس سبباً فى المنع من الصرف . وقيل منعه من الصرف لشبهه بالأسماء الأعجمية حيث لم يسم به أحد من العرب .

« الخلاف الواقع فى ابليس » :

وقد وقع خلاف فى ابليس هل هو من الملائكة أو من الجن وإذا كان من الملائكة فكيف يعصى مولاه وإذا كان من الجن فما السبب فى توجيه السجود إليه مع انه ليس منهم .

أما كونه من الملائكة فهو قول الجمهور . ومن الجمهور ابن عباس وابن مسعود وابن جريح وابن المسيب وقتادة وقد رجح

الطبرى انه من الملائكة . (١)

وكان اسمه عزازيل وكان من أشراف الملائكة وقد روى عن ابن عباس أن إبليس كان من الملائكة فلما عصى الله غضب عليه فلعله فصار شيطاناً وحكى الماوردى عن قتادة انه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجنة .

وقال سعيد ابن جبير أن الجن سبط من الملائكة وإبليس منهم وذهب إلى أنه من الجن وليس من الملائكة خلق كثير . مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ وإن الملائكة خلقوا من النور وخلق الجن من نار . كما روى مسلم عن عائشة . وبدل على هذا بعينه قوله تعالى حكاية عنه : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ .

ومن أدلة هؤلاء أيضاً . أن الملائكة لا يستكبرون وهو قد استكبر ولا يعصون الله ما أمرهم وهو قد عصى وخالف .

ويجب أصحاب القول الأول عن عصيانه مع كونه من الملائكة بأن ذلك لا يضرهما لأن من الملائكة من ليس بمعصوم وإن كان الغالب عليهم العصمة بعكس بنى آدم وأما لأن إبليس سلبه الله تعالى الصفات الملكية وألبسه الثياب الشيطانية :

والملك لا يعصى مادام ملكاً «ومن ذا الذى يامى لا يتغير» وكان ذلك لسابق علم الله تعالى :

واظافر القضاء إذا حكمت ادمت وقسى القدر إذا رمت اصمت
وكان سراج الوصل أزهر بيننا فهبت به ريح من بين فانطفا

(١) انظر تفسير الطبرى عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ .

ويحيون أيضاً عن كونه من الجن . بدليل (كان من الجن) إن كان بمعنى صار جنياً بسبب عصيانه وقد روى أنه مسخ بسبب هذه المعصية كما مسخ اليهود فصاروا قردة وخنازير لأن الجن صنف من الملائكة كما روى عن سعيد بن جبير .

قال الألوسي في تفسيره بعد ما تقدم :
وكم أرقّت هنأة القصة جفونا واراقت من العيون عيوناً فإن إبليس كان مدة في دلال طاعته يخال في رداء مرافقته ثم صار إلى ما ترى وجرى . وجرى ما به القلم جرى :

وكنا وليلي في صعود من الهوى فلما توافينا ثبت وزلت ..
هذا ومن قال انه ليس من الملائكة قال إنما وجهه إليه الأمر لكنه كان بينهم متصفاً بصفاتهم فخطوب بخطابهم وغلبوا عليه في الخطاب أو لأن الجن كانوا أيضاً مكلفين بالأمر بالسجود أو لأنه خطوب صريحاً . بدليل قول الله تعالى : ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾

وبناء على ما تقدم من الاختلاف في ملكيته يختلف نوع الاستثناء فأصحاب القول الأول يقولون أن الاستثناء متصل وأصحاب القول الثاني يقولون أن الاستثناء منقطع وذلك بناءً على ما تقرر عند النحاة والأصوليين بأن الاستثناء المتصل ما كان فيه المستثنى من جنس المستثنى منه والمنقطع ما كان بخلافه .

والذي تميل إليه النفس وتسانده الأصول وتؤيده الأدلة والقول بأن إبليس من الجن لا من الملائكة وأن الملائكة جنس غير الجن وقد عرفت أن الاستثناء منقطع في سورة الكهف . ويؤيد هذا ما روى أنه خلق من نار والملائكة من النور كما ورد فيها رواه مسلم

وأحمد كما يثبده قوله تعالى ﴿افتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾
والملائكة لا يتناكحون ولا يتناسلون . ومما يدل على ذلك أيضاً قوله
تعالى : ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾ ورسل الله معصومون .

متى كان هذا الأمر بالسجود
ومن أى أنواع الأمر هو ؟ :

بني ههنا مسألة وهي متى كان هذا الأمر بالسجود أكان بعد
خلق آدم وتسويته ونفخ الروح فيه أم كان قبل خلقه حين قال
للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ؟ . وعلى الأول يكون الأمر
تنجيئياً وعلى الثاني يكون من قبيل الأمر التعليق الذي يطلب به
المأمور عند وجود ما علق عليه الأمر ومن هذا أقول أن الظاهر
والمقتضى لهذه الآية دليل ما قبلها من قوله تعالى : ﴿وعلم آدم
الأسماء كلها﴾ الآية وكذا المقتضى لآية الاعراف وبنى إسرائيل
والكهف وطه ان سجود الملائكة ترتب على الأمر التنجيئى الوارد
بعد خلقه ونفخ الروح فيه وقال قوم آخرون بالثاني أى أنه من قبيل
الأمر التعليق لأن قوله تعالى في سورة الحجر ﴿وإذ قال ربك
للملائكة إني خالق بشراً من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من
روحي فقعو له ساجدين﴾ وكذا ما في سورة (ص) يستدعى هذا
وحمل الأمر في سورة البقرة والأعراف وبنى إسرائيل والكهف وطه
على حكاية الأمر التعليق بعد تحقيق المعلق عليه اجمالاً لأنه حيث
تحقيق المعلق عليه يكون الأمر التعليق في حكم التنجيئ . والترتيب
يتم في آية الاعراف وهي : ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا

للملائكة اسجدوا لآدم﴾ للترتيب والتراخي الربى أو الترتيب والتراخي الاخبارى . فالأمر معلق على نفخ الروح والتسوية والاستطراد إلى ذكر الروح يستدعى أن نعرف شيئاً عن الروح المذكورة في جانب آدم عليه السلام وكذا النفخ الوارد في قوله تعالى : ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ فنقول :

معنى النفخ والروح :

أما النفخ فأمر خطير كثير المزالق وحسبنا فيه من العلم ما يبدو من ظاهر قوله سبحانه : ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ على أن يكون مفهوماً أن الله عزَّ شأنه إذا اسند النفخ إلى ذاته فقال ونفخت لا يريد أن له نفخاً على أمثال ما يجرى منا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وما علينا الا أن نعتقد أن النفخ حصل ولا نفكر في كيفيته .

وقد قال العلماء : لما أراد الله أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال الروح تأتبه فقالت مثل ذلك وكذلك قال لها ثالثة إلى أن قال لها في الرابعة أدخلى كرها واخرجى كرهاً .

وأما الروح الذى أضافه تعالى لنفسه فالطريق الوحيد إلى فهمه هو القرآن الكريم الذى من قال به صدق ومن حكم به عدل ، والروح في القرآن الكريم جاء على عدة أوجه :

أولاً : الروح المذكور في قوله تعالى : ﴿يوم يقوم الروح

والملائكة صفاء لا يتكلمون إلا من اذن له الرحمن وقال صواباً .
ثانياً : عيسى عليه السلام إذ سمى بأنه روح من الله في قوله
تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى
مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ .

ثالثاً : جبريل عليه السلام وذلك قوله سبحانه : ﴿ نَزَلَ بِهِ
الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ .

رابعاً : الوحي وذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ .

خامساً : سر من لدنه سبحانه يمد به من يشاء من عباده
المؤمنين فيكون لهم من صفات القوة والثبات والسكينة ونحوها ما يتم
به التأييد والنصر وذلك قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ فأى هذه الخمسة يمكن للعقل أن
يطمئن إلى أنه هو الذى نفخه الله تعالى في آدم عليه السلام .
إنه لا يطمئن إلى أنه الروح الذى يقوم والملائكة صفاء . ولا إلى
أنه جبريل عليه السلام وليس هو الوحي ولا عيسى عليه السلام فبقى
الأخير وهو السر الذى تكون به الصفات الطيبة القوية والذى يؤيد
الله به عباده المؤمنين والنفوس إلى هنا أميل وأسكن ^(١) أما الوصول
إلى حقيقة هذا السر فلدونه خطر القتاد لأنه مما اختص الله تعالى
بعلمه قال تعالى : ﴿ وَيسألونك عن الروح قل الروح من أمرى وما
أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

(١) انظر ما تقدم في معنى الروح في كتاب آدم للبهى الخولى .

﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ :

الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر كأن سائلاً سأل ماذا فعل ؟ وقيل إن أبى واستكبر كليهما في موضع نصب على الحال . أى فعل ما فعل آيياً مستكبراً . ﴿وكان من الكافرين﴾ مستأنف أو في موضع الحال وقيل إن الجملة تذييل .

والإباء الامتناع عن الفعل مع أنفة وتمكن منه ولهذا إذا قلت أبى زيد الظلم كان أبلغ من قولك لم يظلم لأن العبارة الأولى تفيد قدرته على الظلم مع إباطه ولا كذلك العبارة الأخيرة . ولكون هذا الفعل فيه معنى النقي صح أن يأتي بعده الاستثناء المفعول . قال تعالى : ﴿وبأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ وهو فعل نادر جاء على وزن فعل يفعل وليس فيه حرف من حروف الحلق فهو قد جاء على غير قياس ... قال العلامة الألوسي في تفسيره وقد سمع أبى كرضى فالمضارع حينئذ قياسى .

الاستكبار التكبر وهو مما جاء به استفعل وتفعّل بمعنى واحد «وكان» الظاهر فيها أنها بابها أى كان في علم الله من الكافرين وقيل بمعنى صار وتعقب بأن المناسب على هذا فكان .

«التحقيق في سبب كفر إبليس» :

قال القرافى ^(١) اتفق الناس على تكفير إبليس في قضيته مع آدم عليه الصلاة والسلام وليس الكفر فيها لامتناعه من السجود والا لكان كل من أمر بالسجود وامتنع كافراً وليس كفره لكونه حسد

(١) انظر كتاب أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس . لحمد دياب الاتليدى .

آدم وإلا لكان كل حاسد كافراً وليس كفره بعصيانه وفسوقه وإلا لكان كل عاصي وفاسق كافراً وقد أشكل ذلك على جماعة من الفقهاء وينبغي أنه كفر بنسبة الحق جل جلاله إلى الجور والتصرف الذى ليس بمرضى ويظهر ذلك من فحوى قوله : ﴿أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ ومراده ان الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله تعالى وقد أجمع المسلمون على أن من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر . انتهى بنصه من كتاب أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى عباس . وهو فى كتاب الفروق للقرافى المالكى .

«وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة» :

العطف فى قلنا على إذ قلنا السابق بتقدير إذ أو بدون تقدير على أن الزمان واسع للقولين وتصدير القول بالنداء لتنبية المأمور لما يلقى إليه من أمر .

«اسكن» أمر من السكنى بمعنى اتخاذ السكن لا من السكون وهو المعنى الأصلى لمادة سكن وما تفرع عنها ومنه السكنى لأنها تسكن حركة المذبوح . ومنه المسكين لأنه ركن إلى السكون وقلة الحركة والسكينة والسكنة والسكان . فى كل منها معنى السكون . ومنه سكان السفينة لذنبها لأنه يمنعها من الاضطراب والميدان . وإنما كان هنا معناه اتخاذ المسكن لا السكون لقوله تعالى ﴿حيث شئتم﴾ . وفى اسكن إشارة وتنبية على الخروج . لأن السكنى ملكاً وتكون إلى مدة فدخول آدم وحواء الجنة كان دخول

سكنى مؤقتة لا دخول ثواء وتأيد . وأنت ضمير مؤكد للفاعل
المستتر ولا بد منه ليصح عطف ما بعده على ما قبله . قال ابن
مالك :

وإن على ضمير رفع متصل عطف فافصل بالضمير المنفصل
وصح عطف الظاهر مع أنه لا يتسلط إليه فعل الأمر لأنه تابع
ويفتقر فيه ما لا يفتقر في المتبوع .^(١)

وإيثار اسكن على اسكننا للتنبيه على أن آدم هو الأصل وزوجه
تبع له في جميع الأمور كما أنها كذلك في الخلافة ولكونها مقصودة
تبعاً في الخلافة لا يصح وزوجك بدون العطف على أن يكون
منصوباً على أنه مفعول معه .

وزوجك لغة القرآن زوج بدون هاء وقد جاء في صحيح مسلم
زوجة حدثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب قال : حدثنا حمد بن
مسلمة عن ثابت اليماني عن أنس أن النبي ﷺ كان مع إحدى
نسائه فمر به رجل فدعاه فجاء فقال «يا فلان هذه زوجتي فلانة»
فقال يا رسول الله من كنت أظن به فلم أكن أظن بك فقال رسول
الله ﷺ «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»^(٢) . وزوج
آدم عليه السلام هي حواء عليها السلام سماها بذلك وعلل التسمية
بأنها خلقت من وحي .

(١) انظر في ذلك القرطبي والأوسى عند تفسير هذا الموضع من الآية .

(٢) ذكر ذلك القرطبي مستدلاً على ما ذكره بهذا الحديث والحديث في صحيح مسلم
ج ٢ ص ٢٧٠ كتاب السلام باب بيان أنه يستحب لمن رأى خالئاً بامرأة وكانت
زوجة أو محرماً له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به .

من أين خلقت حواء :

قال تعالى : ﴿وخلق منها زوجها﴾ وهذه العبارة محتملة لأن يكون الله قد أخذ ضلعاً من أضلاع آدم عليه السلام وخلق منه حواء وقال بذلك كثير من العلماء وهو ما تفيده عبارة التكوين وهي (فأوقع الإله الرب سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحماً . وبني الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة واحضرها إلى آدم . فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت .) انتهى من الاصحاح الثاني تكوين .

ومن الجائز أن يكون خلقها كما خلق آدم عليه السلام ويكون معنى ﴿وخلق منها زوجها﴾ من جنسها وعلى صورتها وتكون مادة المرأة غير متعرض لها والرأى الأول النفس إليه أميل لأن أضلاع الرجل تنقص ضلعاً عن أضلاع المرأة والنقص في الجانب الأيسر من الرجل . وكان من قضاء على رضى الله عنه الحكم بنصيب امرأة لشخص اشبهت ذكوره وانوثته حيناً أريد توريثه وكان قضاء على بناء على عمد أضلاع صاحب المشكلة وقد كانت أربعاً وعشرين ضلعاً^(١)

«الجنة» سميت جنة لاجتماعها وخفائها وال فيها للعهد كما عليه الجمهور من العلماء وأهل السنة والعهد للجنة المعدة للمتقين .

(١) ذكر ذلك القرطبي عند تفسير قوله تعالى (زوجك) بسورة البقرة ثم قال (وسياتى في الموارث بيان هذا إن شاء الله تعالى).

الخلاف في جنة آدم عليه السلام :

وقع خلاف كبير في جنة آدم عليه السلام وتضاربت في ذلك الخلاف أقوال العلماء وانتصر كل منهم لقوله ورد احتجاج مخالفه . وحاصل الخلاف في هذه الجنة أنها جنة في السماء أو في الأرض . وعلى أنها جنة في السماء فهل هي جنة الخلد الموعودة للمؤمنين وهي دار الثواب أم جنة أخرى أعدت لآدم وحواء دون سواهما واختار فريق التوقف وعدم القطع لأن الأدلة متعارضة والكل ممكن .

ومن قال انها جنة في السماء خاصة بآدم وحواء عليهما السلام الحسن ومن قال بأنها بستان في الأرض بعض المتكلمين وبعض الصوفية الذين قالوا انها جنة البرزخ وذكروا انها عند جبل الياقوت تحت خط الاستواء وهي عندهم موجودة ويدخلونها بأرواحهم أما انها جنة الخلد الموعودة للمؤمنين فهو قول جمهور العلماء وأما التوقف فهو اختيار ابن الخطيب .

ومن ذكر الخلاف في هذه الجنة أبو عيسى الرمانى في تفسيره واختار انها جنة الخلد ثم قال والمذهب الذى اخترناه قول الحسن وعمر وواصل وأكثر أصحابنا وهو قول أبى على وشيخنا أبى بكر وعليه أهل التفسير .

هذا وقد قال منذر بن سعيد والقول بأنها جنة في الأرض ليست جنة الخلد قول أبى حنيفة وأصحابه وقد رأيت أقواماً نهضوا لمخالفتنا في جنة آدم عليه السلام بتصويب مذهبهم من غير حجة إلاّ الدعاوى والأمانى وكما اتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر من

صاحب ولا تابع ولا تابع التابع ولا موصولاً ولا شاذاً ولا مشهوراً . ووصف تلك الجنة في الاصحاح الثاني من سفر التكوين يفيد هذا والذي أختاره التوقف في هذه الجنة حيث لم يرد في تعيينها أى نص قطعى الدلالة أنها جنة الخلد في السماء أو جنة آدم في الأرض وهو الأسلم .

كان هذا والذي أختاره وادين الله به الآن بعد ستة عشر عاماً من هذا الاختيار انها الجنة الموعودة بالمؤمنين . في الآخرة لظاهر نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وهو ما عليه أهل السنة وعوام الأمة وخواصها وهو اختياري أيضاً في بحث الدكتوراه «قصة آدم في القرآن الكريم وما دار حولها من شبهات» التي نجحت في امتحانها عام ١٩٧٦ م .

بيان حجج من قال إن جنة آدم عليه السلام

هى جنة الخلد :

قالوا إن ما تقول به هذا هو الذى فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواء . قالوا وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبى مالك عن أبى حازم عن أبى هريرة وأبى مالك عن ربيعى عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ «يجمع الله تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا ابانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أييكم ؟» وذكر الحديث قالوا وهذا يدل على أن الجنة التى أخرج منها هى بعينها التى يطلب منه أن يستفتحها .

وفى الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام
وقول موسى اخرجتنا ونفسك من الجنة ولو كانت فى الأرض فهم
قد خرجوا من بساتين ولم يخرجوا من الجنة^(١) .

وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة «وهل أخرجكم من الجنة
إلا خطيئة أبيكم» وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا . ومن
حججهم «كلمة اهبطوا» وأيضاً «ولكم فى الأرض مستقر» فى
سورة البقرة . فإن الهبوط نزول من علو إلى سفلى . ثم ذكر الأرض
عقب اهبطوا دليل على أنهم لم يكونوا فى الأرض قبل ذلك وقد
تأكد هذا فى سورة الأعراف . «قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها
تخرجون» فلو كانت الجنة فى الأرض لكانت حياتهم فيها قبل
الخراج وبعده .

ومن حججهم أن الله تعالى وصف جنة آدم بصفات لا تكون
إلا فى جنة الخلد فقال : «إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنتك
لا تظمأ فيها ولا تضحى» وهذا لا يكون فى الدنيا أبداً ولو كان فى
أرغد عيش وأنعمه . إذ لا بد لكل إنسان أن يعرض له شىء من
ذلك .

هذا وقد قالوا لو كانت تلك الجنة فى الدنيا لعلم آدم كذب
إبليس فى قوله «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» فإن
آدم كان يعلم أن الدنيا فانية وأن ملكها يبلى^(٢) .

(١) البخارى ج ١ كتاب القدر باب نجاح آدم وموسى عند الله عز وجل حديث ٢١
ص ٣٢٦ وذكر ابن كثير فى قصص الأنبياء أن الحديث رواه البخارى ومسلم
والنسائى وأحمد والترمذى كل بسنده .

(٢) انظر فى هذا كتاب «حادى الأرواح إلى معالم الأفراح» لابن القيم .

«بيان حجج من قال أن جنة آدم ليست جنة الخلد
بل جنة في الأرض» :

من أدلتهم وحججهم أن الله جل جلاله قد أخبر على لسان
جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة وهو لم
يأت بعد وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بأوصاف ومحال أن يصف
الله تعالى شيئاً بغير صفته .

وقد وصف تعالى جنة الخلد التي أعدت للمتقين بأنها دار المقامة
ولم يقر فيها آدم ووصفها بأنها جنة الخلد ولم يخلد فيها آدم ووصفها
بأنها دار الثواب والجزاء لا دار تكليف وأمر ونهى ووصفها بأنها دار
سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان وقد ابتلى آدم فيها بأعظم
ابتلاء . ووصفها بأنها لا يعصى الله تعالى فيها أبداً وقد عصى آدم في
جنته التي دخلها ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن وقد
حصل فيها لآدم وحواء من الحزن ما حصل ووصفها بأنها دار
السلام ودار القرار ولم يسلم ولم يقر فيها الأبوان وقال تعالى . ﴿وما
هم منها بمخرجين﴾ وقد أخرجنا . وقال تعالى : ﴿لا يمسه فيها
نصب﴾ وقد حصل فيها النصب لها وطفقا يخصفان عليهما من ورق
الجنة . وقال جلّ جلاله ﴿لا لغوف فيها ولا تأثيم﴾ وقد حصل فيها لغو
إبليس وأمه .

وقال تعالى : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ولم يقل في جنة
المأوى ومحال أن يكون سفك الدماء في جنة المأوى .
قالوا ولو كانت جنة آدم هي جنة الخلد والملك الذي لا يبلى فلم
لم يرد آدم على إبليس ويقول له . اتدلى على شيء أنا فيه . حين قال

له إبليس : ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ ولم لم يرد عليه نصيحته حيث كان في جنة الخلد . وكيف يصل إليها إبليس النجس ولا يدخلها إلا طاهر فهي دار القدس وكيف يصل إليها بعد أن يخرج منها وهي في السماء السابعة بعد طرده وابعاده عنها ؟ هذه بعض أدلتهم وهي قل من كثر يضيق نطاق الوقت عن حصره ومن أبرز حججهم أن الجنة الموعودة لا نوم فيها . قال منذر وقد روى عن النبي ﷺ «أن آدم عليه السلام نام في جنته» وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص واجماع المسلمين . فإن النبي ﷺ سئل : «أينام أهل الجنة في الجنة ؟ قال : «لا النوم أخو الموت والموت وفاة» .

وحديث نوم آدم المشار إليه المعروف بأنه موقوف من رواية أبي نجيع عن مجاهد قال : «خلقت حواء من قصبري آدم وهو نائم» (١) وفي هذا القدر ن سرد الحجج كفاية والله الموفق للصواب .

موقف أصحاب هذا القول من حجج أصحاب القول الأول :

أجابوا عن حجة . إن قولنا هو الذي فطر الله الناس عليه . إن المسألة سماعية لا تعرف إلا باخبار الرسل ونحن وأتتم إنما تلقينا هذا من القرآن الكريم لا من المعقول ولا من الفطرة فالمرجع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو نابع واحد أو أثر صحيح أو حسن بأنها جنة الخلد التي أعدها الله للمؤمنين ولن تجلوا إلى ذلك سبيلاً . وقد ذكرنا لكم من

(١) حادى الأرواح إلى معالم الأفراح لابن القيم .

كلام السلف ما يدل على خلافه ولكن لما وردت الجنة مطلقة في هذه القصة ووافقت اسم الجنة التي اعدت للمتقين كما وافقت بعض أوصافها ذهب كثير من الأوهام إلى أنها هي بعينها . فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئاً وإن أردتم أن هذه الفطرة كفطرة الناس على استحسان العدل واستقباح الظلم وغير ذلك من المسلمات الفطرية فدعوى باطلة فنحن لا نحس من أنفسنا هذا الاحساس .

أما حديث أبي هريرة رضى الله عنه وقول آدم : وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم فإنما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستفتاح للمخطيئة التي تقدمت منه في دار الدنيا وانه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة فأين في هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو التزام ؟ .
وأما قول موسى له : اخرجتنا ونفسك من الجنة .

فانه لم يقل له اخرجتنا من جنة الخلد .
وأجابوا أيضاً عن قولهم انها لو لم تكن جنة الخلد فهم قد خرجوا من بساتين صى الأرض ولم يخرجوا من الجنة أن إسم الجنة وإن أطلق على البساتين لكن بينها وبين جنة آدم فرق شاسع وواسع والبساتين سجن بالنسبة لجنة آدم عليه السلام واشتراكها في أنها في الأرض لا ينقى التفاوت .

وأما عن معنى المهبوط فقد هجابوا . بأنه لا يستلزم أن يكون من السماء إلى الأرض بل يكون من مكان مرتفع إلى مكان منخفض وهذا غير منكر فإن تنة آدم كانت في أعلى الأرض ولذلك سماها

الصوفية جنة الربوة .

كما ذكر ذلك الشعراني وهو من أكابر الصوفية وأهل السنة في كتابه الميزان الكبرى . في فقه المذاهب الأربعة ولو كانت الجنة في السماء لما تمكن منها اللعين بعد اهباطه منها .

قالوا وأما قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَسْكَنٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ فهذا لم يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض فإن الأرض اسم جنس وكانوا في أعلاماً وأفضلها وأطيها . بحيث لا يصيبهم جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا نصب ولا ضحى فاهبطوا إلى الأرض فيها هذا كله وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور . وأما عن وصف الجنة بصفات لا تكون في الأرض . فهي لا تكون في الأرض التي اهبطوا إليها فمن أين لكم أنها لا تكون في الأرض التي اهبطوا منها .

وأما من وصف جنة آدم بالخلد . فإن الخلد في اللغة يدل على المكث الطويل لا الدوام والتأييد وأيضاً فإن فناء الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحي ولم يتقدم لآدم عليه السلام نبوة يعلم بها ذلك .

موقف من قال انها جنة الخلد من حجاج مخالفهم :

قالوا في رد استدلال من قال : ان جنة آدم هي جنة الربوة في الأرض .

أما قولكم إن الله سبحانه وتعالى أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد .. فهذا حق في

دخول الدوام والاستقرار أما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة وقد دخل النبي ﷺ الجنة ليلة الاسراء وهذا غير الدخول الذي أخبر الله تعالى به يوم القيامة فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون في الدنيا . وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد .

وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التي ذكرتموها في الجنة وانها لا تكون في جنة آدم عليه السلام من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها فهذا لا ننكره عند دخول المؤمنين فيها يوم القيامة كما يدل عليه ظاهر هذه الآيات وهذا لا يمنع أن يحصل لأبوى الثقلين ما حصل في الدنيا كما قصه علينا القرآن الكريم وهذا لا يكون هناك تناف بين الأمرين .

وأما قولكم انها دار جزاء وثواب لا دار تكليف فإن الممنوع التكليف فيها إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة واما في الدنيا فلا مانع من التكليف فيها ولا دليل على امتناعه البتة .

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها . فالنوم الممنوع إنما يكون عند دخول الخلود يوم القيامة وأما قبل ذلك فلا مانع منه .

وأما استدلالكم بقصة وسوسة^(١) إبليس له بعد اهباطه واخراجه من السماء فلعمرو الله إنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعسفات لدخوله وصعوده إلى السماء بعد

(١) حادى الأرواح إلى معالم الأفراح لابن القيم .

اهباط الله له منها لا يرتضيها منصف ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هناك صعوداً عارضاً تمام الابتلاء والامتحان الذى قدره الله تعالى وقدر أسبابه وإن لم يكن ذلك المكان مقعداً له ومستقراً كما كان وقد أخبر جل جلاله عن الشياطين إنهم كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحي وهذا صعود لكنه صعود عارض لا استقرار معه مع قوله تعالى : ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ فلا تنافى بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط .

هذه حجج كل لتأييد دعواه ورد كل حجج الآخر ومع كل هذا فإن التوقف فى تعيين هذه الجنة هو الذى اختاره وهو الأسلم حيث لم يتبعنا الله تعالى بمعرفتها على التعيين . والله غيب السموات والأرض وهو عالم الغيب والشهادة .

وأقول كما قلت آنفاً والذى اختاره وادين الله به الآن أن جنة آدم هى الجنة الموعودة للمؤمنين فى الآخرة لما قد ذكرت (١) .

﴿وكلا منها رغداً حيث شتما﴾ .

الأمر لآدم وحواء عليهما السلام . «منها» أى من الجنة على حذف مضاف أى من مطاعمها من ثمارها وغيرها فلم يحظر عليهما شيئاً إلا شجرة النهى «رغداً» الرغد العيش الهنى الواسع الذى لا عناء فيه . فقال الشاعر :

(١) والقول بأنها جنة فى الأرض قول المعتزلة أدى إليه اعتقادهم أن الجنة والنار غير مخلوقين الآن وهو قول غير مرضى مخالف لقوله تعالى أعدت للمتقين فى جانب الجنة و«أعدت للكافرين فى جانب النار» .

بينما المرء تراه ناعماً يأمن الأحداث في عيش رغد
وقراءة الجمهور فيه رغدا بفتح العين وقرأ النخعي وابن وثاب
بسكونها وهو منصوب على أنه نعت لمصدر محذوف .

وقال ابن كيسان انه حال بتأويل راغدين .

و«حيث» ظرف مكان مبهم لازم للنظر فيه واعرابها لغة بني
فقعس ولا تكون ظرف زمان خلافاً للأخفش ولا يجزم بها دون ما
خلافاً للفراء ولا تضاف للمفرد خلافاً للكسائي ولا يقال زيد حيث
عمرو خلافاً للكوفيين .

ويعتقب على آخرها الحركات الثلاث مع الياء والواو والألف
ويقال حايث على قلة فاللغات فيها عشروهي متعلقة بكلا والمراد بها
العموم لقربة المقام .

﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾

النهى للتحريم والمنهى عنه الأكل منها فنهى عن قربائها مبالغة
وفيه دليل لمن قال بالعمل بسد الذرائع لأن الوسيلة إلى المحرم محرمة
وفى معنى تقرباً قال ابن العري : سمعت الشاشي في موضع النظر
يقول :

«إذا قيل لا تقرب بفتح الراء كان معناه لا تلبس بالفعل وإذا
كان بضم الراء فإن معناه لا تدن منه » .

وعبر تعالى بالظلم الذي يطلق على الكبائر ولم يكتف بأن يقول
ظالمين بل قال من الظالمين مبالغة .

بناء على ما تقرر من أن قولك زيد من العالمين أبلغ من زيد عالم
لجعله عريقاً في العلم أبا عن جد وترداد المبالغة إذا قلنا ان كان دالة

على الدوام والاستمرار كما هو الأصل فيها ؛
 هذا وقد وقع خلاف في شجرة النهى هذه . ف قيل شجرة التين
 وقيل الخنطة وقيل النخلة وقيل شجرة الكافور وقيل الكرمة
 والأحسن عدم التعين والقطع لأن الله تعالى لم يعينها باسمها . والتاء في
 الشجرة للوحدة الشخصية فالمنهى عنه شجرة بعينها وهو اللاتق
 بالإشارة لإزاحة كل شبهة في ذاتها وقيل للوحدة النوعية فالمنهى عنه
 حينئذ جميع نوع هذه الشجرة .

والشجرة تشمل ما له ساق وفروع وما ليس كذلك لقوله
 تعالى : ﴿ شَجَرَةً مِنْ يَقُطِينَ ﴾ واليقطين شجرة القرع وهى لا ساق
 ولا فروع لها قائمة بل من النباتات الزاحفة وقوله تعالى ﴿ فَتَكُونَا مِنَ
 الظَّالِمِينَ ﴾ اما مجزوم بحذف النون معطوف على تقربا فالنهي مسلط
 عليه أيضاً وكان على أصل معناها أو منصوب على جواب النهي
 كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾
 وكان حينئذ بمعنى صار . وأياً ما كان فالأكل من الشجرة سبب في
 كونها من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعصية أو نقصوا
 حظوظ أنفسهم بارتكاب ما يخل بالكرامة .^(١)

﴿ فَأَزَلَّهَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ عن هنا تفيد السببية مثلها في قوله
 تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا
 إِيَّاهُ ﴾^(٢) فالمنى حملها على الزلة بسبب هذه الشجرة . وقيل أزلهما
 أى أذهبهما وأبعدهما عن الجنة ويعضده قراءة حمزة فأزلهما .

(١) انظر فيما تقدم روح المعاني للألوسى عند تفسير هذا الموضع من الآية .

(٢) آية ١١٤ سورة التوبة .

والضمير حينئذ للجنة أما على الأول فالضمير للشجرة وعلى المعنى الثانى وهو قراءة حمزة يكون عود الضمير على الشجرة يتجاوز من اطلاق اسم المحل وارادة الحال فيه أو بتقدير مضاف أى محلها على حد واسأل القرية أى أهلها . فهو مجاز بالحذف وازلال إبليس لها كان بكذبه وحلفه لها بأنه لها لمن الناصحين وقد اختلف فى وسيلة هذا الازلال ف قيل دخل الجنة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة ولم يعرفه الخزنة وقيل ، وقيل : والأحسن كما قال أبو منصور ليس لنا البحث عن كيفية ذلك وهذا من الانصاف بمكان . إذ لم يرد نص قاطع يبين لنا كيفية وصول إبليس إلى الجنة بعد طرده منها .

«هل ما حصل من آدم معصية» :

المعتقد أن الأنبياء معصومون ، فهل ما حصل من آدم يعتبر معصية ؟ أجاب العلماء عن ذلك بأقوال . منها أن الأكل وقع قبل النبوة وهو ما يقوله المعتزلة ووقوع الذنب قبلها جائز عند أكثر الأصحاب وهو قول أبى هذيل وأبى على من المعتزلة . والبعض يقول النهى للتره لا للتحريم والمراد بالظلم هنا نقص الحظ والبعض يقول أن آدم تأول بأن المراد من النهى شجرة بذاتها دون بقية نوعها .

والأحسن أن آدم أكل ناسياً ولا يعتبر هذا معصية وإنما ترتب على أكله ما ترتب نظراً لمقامه من قبيل (حسنات الأبرار سيئات المقربين) وبهذا يكون ما حصل منه لا يقدر فى عصمته . والذنب

الذى يخل بالعصمة ما كان دون عذر واثبات أكله من الشجرة بدون عذر دونه خطر القتاد كيف لا وقد قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنسَى وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾ .

وهذا ما يتناسب مع وجوب اعتقاد عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة أو من الجنة والأول على تقدير رجوع ضمير عنها إلى الشجرة أو الجنة والثاني مخصوص بالتقدير الأول لثلا يسقط الكلام وقيل مما كانا فيه من اللباس لقوله تعالى : ﴿وَلَفَافًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ وفى الكلام تفخيم عظيم لما كانا فيه افاده لفظ ما الذى يفيد الابهام والعموم .

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ :

الهبوط معناه النزول من علو إلى أسفل وقال الفضل هو الخروج من البلد والدخول فيها من الاضداد . ويقال فى انحطاط المنزل . والبعض فى الأصل مصدر بمعنى القطع ويراد به الجزء وهو ككل ملازم للاضافة لفظاً أو نية ولا تدخل عليه اللام لأنه مضاف إما لفظاً وأما نية . ولا يجتمع فى الاسم تعريفان ويطلق بعض على الواحد والمثنى والجمع .

والخطاب هنا لآدم وحواء . لقوله تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ والقصة واحدة وجمع الضمير لتزليلهما منزلة البشر كلهم . واختار الفراء أن المخاطب هما وذريتهما وفيه خطاب المعلوم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وكثير من السلف أن المخاطب آدم

وحواء وابليس واعترض بخروجه قبلها وقيل هم والحية واعترض بعدم تكليفها وأجيب بأن الأمر تكويني .

والجملة الاسمية محلها النصب على الحال المقدرة والحكم باعتبار الذرية وإذا دخل إبليس والحية كان الأمر أظهر ولا يرد أنه كيف يفيد الأمر بالتعادي وهو منهي عنه لأن كون العداوة طبيعية يصرف توجه النظر عن المقيد وإن جعل الأمر تكوينياً زال الاشكال وفيه بعد .

وقد أفرد عدو نظرا للفظ بعض أو لأنه يطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد وبهذا الأمر نسخ الأمر بالسكنى والأكل والنهي عن الأكل من الشجرة .

﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ :

المراد بالأرض جنس الأرض وليس المراد شخص الأرض الذي هو لآدم موضع بجبل سرنديب . وحواء موضع بجدة ببلاد الحجاز . ولابليس موضع بالأبلة ولصاحبه موضع بنصيبين أو أصبهان أو سجنان .

والمراد بصاحبه الحية .

والمستقر مكان الاستقرار والحين مقدار من الزمن طويلاً أو قصيراً والمراد هنا إلى وقت الموت على أن المستقر هو المقام في الدنيا وقيل إلى قيام الساعة وهذا على أن المستقر هو القبور بعد الموت . وقوله تعالى ﴿إلى حين﴾ فيه إشارة إلى آدم ليعلم أنه غير باق في الدنيا وأنه منتقل منها إلى الجنة وهي لغير آدم دالة على الميعاد

فحسب .

﴿فتلى آدم من ربه كلمات﴾ :

أى استقبلها بالقبول والعمل بها وبإكرامها كأنه يستقبل إنساناً
ازداد شوقه إليه وطالت غيبته عنه .

وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على معنى استقبلته مكرمة
له بسبب العفو عنه . والكلمات كما فى المشهور المروى عن ابن عباس
رضى الله عنهما هى :

﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين﴾ .

وعن ابن مسعود أنها (سبحانك اللهم ومحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جددك لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر
الذنوب إلا أنت) .

وقيل رأى مكتوباً على ساق العرش «محمد رسول الله فتشفع
به» وكما أطلقت الكلمة على عيسى عليه السلام فلتطلق الكلمة على
الروح الأعظم والحبيب الأكرم ﷺ فما موسى وما عيسى إلا بعض
عن ظهور أنواره وزهرة من رياض أنواره وبحسن فى هذا المقام أن
نتكلم عن نبوة آدم ورسالته وما قيل فيها .

«ما قيل فى نبوة آدم ورسالته عليه السلام»

إن نبوة آدم عليه السلام قد أخذت دوراً مهماً منذ سنوات كما
يقول الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه قصص الأنبياء إذ ظهر فى
مدينة دمنهور رجل أنكر أن يكون آدم نبياً وقد رفعت عليه الدعوى

بالمحكمة الشرعية وصدر الحكم عليه بالتفريق بينه وبين زوجته لردته بتلك الأفكار ولما استأنف الحكم إلى محكمة الاسكندرية كان كلامه امامها انه لم ير لفظاً في القرآن الكريم يذكر آدم بالنبوة وانه يعتقد نبوته فصدر حكمها بإلغاء الحكم الأول ورجعت إليه زوجته . أقول أيضاً أن القرآن الكريم لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم عليه السلام كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء كاسماعيل وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ولكن ذكر أنه خاطبه بلا وابطلة وشرع في ذلك الخطاب فأمره ونهاه واحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً وهذا هو كل معاني النبوة فمن هذه الناحية نقول أنه نبي وتطمئن نفوسنا بذلك .

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه وشأننا أن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى على اني رأيت حديث أبي هريرة في الشفاعة الوارد في صحيح مسلم «إن الناس يذهبون إلى نوح ويقولون أنت أول رسل الله إلى الأرض» فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول والقائلين برسالة آدم يؤولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان وهو تكلف انتهى من قصص الأنبياء .. (١)

ولكني رأيت في تفسير القرطبي عند قوله تعالى : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ما يفيد بأن آدم عليه السلام نبي ورسول وهو ما يأتي :

﴿وخليفة﴾ بالفاء قراءة الجماعة الا ما روى عن زيد بن علي بأنه

(١) انظر قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار عند كلامه على قصة آدم عليه السلام .

قرأ خليفة بالقاف والمعنى بالخليفة هنا في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم عليه السلام وهو خليفة الله في امضاء أحكامه وأوامره لأنه أول رسول إلى الأرض كما في حديث أبي ذر قال : قلت يا رسول الله أنبياءاً كان مرسلأ ؟ قال (نعم) الحديث ويقال لمن كان رسولأ ولم يكن في الأرض أحد فيقال كان رسولأ إلى ولده وكانوا أربعين في عشرين بطنأ في كل بطن ذكر وانثى وتوالدوا حتى كثروا كما قال الله تعالى : ﴿خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالأ كثيراً ونساء﴾ ^(١) وأنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وعاش ٩٣٠ سنة هكذا ذكر أهل التوراة وروى عن وهب ابن منية أنه عاش ألف سنة والله أعلم . أ .
 هـ بنصه من القرطبي ومذهب أهل السنة والمتكلمين أنه نبي ورسول وهو من الخمسة والعشرين رسولأ المذكورين في القرآن الكريم والذين يجب العلم بنبوتهم ورسالتهم تفصيلاً وهو ما نعتقده وندين الله به وقد نظمهم بعض الفضلاء فقال كما في شرح البيجورى على الجوهرة :

في تلك حجتنا منهم ثمانية من بعد عشر ^(٢) وبقى سبعة وهم
 إدريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالختار قد ختموا

﴿فتاب عليه انه هو التواب الرحيم﴾ :

التوبة من الله تعالى بمعنى قبول التوبة من العبد والعفو عن

(١) آية ١ سورة النساء .

(٢) أى في قوله تعالى : ﴿ولتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكم عليم . ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا﴾ الآيات من ٨٣ إلى ٨٦ من سورة الأنعام في هذه الآيات ثمانية عشر رسولا .

الذنب ونحوه أو التوفيق لها والتيسير لأسبابها ونرجع في الآخر إلى معنى التفضل والعطف ولهذا عدت بعلى .
والفاء المفيدة للتعقيب مجرد السببية لأن التلقى سبب في التوبة أو مستلزم لها بدون فاصل بين التلقى والتوبة ولم يقل سبحانه عليها بالثنية لأن النساء تبع يغنى عنهن ذكر المتبوع .
والجملة الاسمية تفيد تقوية رجاء المذنبين لأنها تدل على الدوام والاستمرار وقدم التواب لظهور مناسبته لما قبله وقيل ذكر الرحيم بعده إشارة إلى أن قبول التوبة ليس على سبيل الوجوب كما زعمت المعتزلة بل على سبيل الترحم والتفضل .

﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ :

إذا كان الابهاط الثاني عين الأول فالتكرير للتأكيد والفعل لكمال الاتصال والفاء في فتلقى للاعتراض إذ لا يجوز العطف متقدماً على التأكيد وقد اختار التأكيد الكثير معللاً بأن القصة واحدة وفائدة التأكيد الاهتمام بشأن التوبة لئلا يمهلهما فإن الامهال لها ذنب آخر .
وإذا كان غير الأول فلا تأكيد ويكون التكرير ليتعلق بالابهاط معنى آخر غير الأول . لأن الابهاط الأول تعلق به التعادى وعدم الخلود والأمر فيه تكويني والابهاط الثاني ذكر ليتعلق به اعتداء من اهتدى وضلال من ضل فالأمر فيه تكليفي .
ويسمى مثل هذا في البديع الترديد فالفصل حينئذ للانقطاع لتباين الغرضين .

هذا وقد قال الجبائي أن الابهاط الأول من الجنة إلى السماء

والثاني من السماء إلى الأرض ويضعفه ذكر الأرض في جانب
الاهباط الأول حيث قال تعالى : ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع
إلى حين﴾ و «جميعاً» حال من فعل واهبطوا أى مجتمعين .

﴿فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم
يبحزنون﴾ :

هذا الخطاب لا يدخل فيه غير المكلف وادرج الكثيرون إبليس
لأنه مخاطب بالايمان .

ونكر هدى لأن المقصود منه المطلق ولم يسبق فيه عهد فيعرف .
واختلف في المراد منه ف قيل الكتب المنزلة . وقيل التوفيق للهداية
وقيل الرسل وهى إلى آدم من الملائكة وإلى بنيه من البشر كما جاء في
حديث أبى ذر وخرجه الآجرى .

و ﴿ومنى﴾ فيه إشارة إلى أن الله تعالى هو الذى يخلق أفعال
العباد خلافاً للقدرية وغيرهم .

وما فى قوله ﴿فإما﴾ زائدة على أن التى للشرط وجواب الشرط
الفاء الداخلة على الشرط الثانى فى «فمن تبع» ومن فى موضع رفع
بالابتداء ﴿وتبع﴾ فى موضع جزم بالشرط ﴿فلا خوف﴾ جوابه
قال سيبويه الشرط الثانى وجوابه هما جواب الشرطين جميعاً .
- الخوف - هو الذعر ولا يكون إلا فى المستقبل وخاوفنى فلان
فخفته أى كنت أشد خوفاً منه .

والتخوف التنقص . ومنه قوله أبى كبير الشاعر الهذيل :

تخوف الرجل منها تامكاً قرداً
كما تخوف عود النبعة السفين^(١)

قال تعالى : ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾^(٢) .
وقد سأل عمر رضى الله عنه عن معنى التخوف وهو على المنبر
فأجابه شيخ من هذيل قائلاً : هذه لغتنا التخوف التتقص فقال
عمر هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ؟ قال نعم : وأنشد
البيت .

وقرأ الزهرى والحسن وعيسى بن عمر وهبن أبى اسحاق
وبعقوب ﴿فلا خوف﴾ .

بالنصب على التبرئة والاختيار الرفع والتنوين على الابتداء .
والحزن بضم الحاء وفتحها ضد السرور وحزن الرجل فهو حزن
وحزين واحزنه غيره وحزنه أيضاً . ومحزون بنى عليه . وحزنه لغة
قريش وأحزنه لغة تميم والمعنى فى الآية فلا خوف عليهم فيما بين
أيديهم عن الآخرة ولا هم يحذنون على ما فاتهم من الدنيا .
وقد قيل انه لا يدل على نفي الخوف من أهوال القيامة لكثرة ما
وصفه الله تعالى ورسوله من شدائد يوم القيامة إلا أنه تعالى يخففه
على المطيعين وإذا صاروا إلى رحمته فكأنهم لم يخافوا والله أعلم .
وإلى هنا انتهى ما امكن الوصول إليه من مختار القول بشأن
قصة الخلافة فى سورة البقرة . فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا
لنهدى لولا أن هدانا الله .

(١) من كتاب النفحة الأحمدية فى بيان الأوقات المحمدية .
(٢) آية ٤٧ - النحل .

«تعقيب يتعلق بقصة الاستخلاف» :

الناظر في القرآن الكريم يجد أن آدم عليه الصلاة والسلام قد ذكر في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرة في خمس وعشرين آية في تسع من السور وها هي هذه الآيات وتلك السور. ^(١)

رقم السورة	السورة	الآيات
٢	البقرة	٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧
٣	آل عمران	٣٣ ، ٥٩
٥	المائدة	٢٧
٧	الأعراف	١١ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ١٧٢
١٧	الاسراء	٦١ ، ٧٠
١٨	الكهف	٥٠
١٩	مريم	٥٨
٢٠	طه	١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١
٣٦	يس	٦٠

هذه هي الآيات والسور التي ذكر فيها آدم عليه السلام لكن

(١) فصل الأنبياء للأستاذ : عبد الوهاب النجار .

القصة وردت في سورة البقرة بأسهاب وتفاوتت في الأسهاب في السور الآتية الأعراف ، الاسراء ، الكهف ، طه ، ص ، وإنما تفاوتت في الإيجاز والاسهاب حسب موضع العظة .

وورود القصة في كل سورة وردت فيها لا يخلو من سبب ومناسبة زيادة على ما في التكرار من تنوع الأسلوب والتفنن في العرض من دلالة على اعجاز القرآن الكريم الذي بهر الدنيا ببلاغته وفصاحته في وقت ومكان كانت البلاغة فيهما في اسمي ذروتها وفصاحة لغة الضاد في أرقى مراقبها .

وسأتكلم بتوفيق الله تعالى على أسباب ورودها في السور التي وردت فيها .

«سبب ورود القصة في سورة البقرة» :

ذكرت قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة في سياق تذكير الناس بنعم الله عليهم والعجب من أنهم يكفرون به وهو الذي غمرهم بفضله وانعامه من بدء خلقهم فبعد أن قال سبحانه وتعالى : ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون . هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم﴾ قال ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ .

ففي هذه الآيات التسع التي ذكرت فيها قصة الخلافة تذكير الناس بنعم الله الجليلة التي أنعم بها عليهم والنعمة على الأصل نعمة

على فرعه فالخلافة وتعليم الأسماء وإيثار آدم بالخلافة على الملائكة والتوبة عليه كلها نعم من الله تعالى يجب على الإنسان أن يذكرها فساق القصة للتذكير بنعم الله على الإنسان ولهذا : قال سبحانه عقب القصة : ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ .

«سبب ورود القصة في سورة الأعراف»

وردت القصة في هذه السورة في سياق أن الناس قليلاً ما يشكرون الله الذي مكنهم في الأرض وجعل لهم فيها معاش فبعد أن قال سبحانه ﴿ولقد مكنناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون﴾ قال ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ إلى قوله تعالى : ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ .

وفي هذه الآيات الست عشرة اسهاب في موقف إبليس من الإنسان وحده وعدائه له . وقسمه باغواء بني آدم من حيث تمكن وقد أراد المولى سبحانه وتعالى بهذه القصة تنبيه الناس إلى أنهم قليلاً ما يشكرون لأنهم فتنوا بوسوسة الشيطان ولو عادوه ونبدوا وسأوسه لشكروا ربه ومن أجل هذا كان الإطناب في وسوسة الشيطان . وختمها الله تعالى بقوله :

﴿يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾

«سبب ورود القصة في سورة الحجر» :

سياق القصة هو أن الله كما خلق الإنسان من طين خلق الجن

من نار والنار والطين مادتان لكل واحدة منهما شأنها وليست مادة
 منها بأفضل من الأخرى فاعتزاز إبليس ودعاؤه بأنه خير من آدم
 لأنه من نار وآدم من طين يدل على الجهل والغرور فبعد أن قال
 سبحانه . ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون .
 والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ . قال ﴿وإذ قال ربك
 للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون﴾ إلى قوله
 تعالى : ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من
 الغاوين﴾ .

وفى هذه الآيات الأربعة عشرة أكان الإطنباب فى رجم إبليس
 واستحقاقه اللعنة إلى يوم الدين لبيان أن مادة الخلق لا تدفع عقاب
 الله وسخطه وان الذى يدفعه إنما هو صالح الأعمال ولذلك قال
 تعالى بعدها . ﴿إن المقيمين فى جنات وعيون . ادخلوها بسلام
 آمنين . ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾ .

«سبب ورود القصة فى سورة الاسراء» :

وردت القصة فى تلك السورة فى سياق فتنة الناس بحادث
 الاسراء حتى ارتد كثير من الناس فبعد أن قال الله تعالى : ﴿وإذ قلنا
 لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى أرىناك إلا فتنة
 للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً
 كبيراً﴾ قال جل شأنه : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
 فسجدوا إلا إبليس قال أسجد لمن خلقت طيناً﴾ . إلى قوله : ﴿إن
 عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ .

وقد ذكرت القصة في ست آيات وكان الإطناب في واقعة حسد إبليس وعدائه لآدم وذريته وإن ذلك العداء والوعد بالاغواء كان أعظم ابتلاء للجنس البشرى أوقع الكثير من المعاصي إلا من عصمه الله .

«سبب ورود القصة في سورة الكهف» :

في سورة الكهف وردت قصة آدم في آية واحدة .

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفستخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً﴾ . وكان ورودها في سياق أن كل امرئ يعطى كتاب أعماله يوم القيامة وإن المجرمين يخافون مما فيه من السيئات ويقولون ﴿يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ .

ولذلك ذكرت القصة بعد هذا وكان الاسهاب في التحذير من طاعة إبليس وذريته الذين وقفوا أنفسهم على فتنة بني آدم واغوائهم .

«سبب ورود القصة في سورة طه عليه الصلاة والسلام» :

وردت القصة في سورة طه في عشر آيات من ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿وللعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ وسياق القصة ومغزاها في هذه السورة . في ضعف عزيمة الإنسان وحاجته إلى معونة الله في تكفير خطيئته وقد جاءت بعد قوله تعالى : ﴿فعلى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك﴾

وحيه وقل رب زدنى علماً﴾ فأفاد ما قبلها نهى الرسول ﷺ من التعجيل فى القراءة قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام من الوحي حتى لا يكون ضعيف العزيمة مثل آدم عليه السلام .

«سبب ورود القصة فى سورة (ص)» :

فى سورة (ص) وردت قصة آدم من أول قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّ خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ . لَأُمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وسياق القصة لافادة أن من اتبع إبليس فهو معه فى جهنم وقد جاءت بعد قوله تعالى : ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ . جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا فَبئْسَ الْمِهَادُ﴾^(١) .
إذن فالسياق فى القصة مسبب عن التكرار الذى اقتضاه وإن كل قصة لها ما يناسبها لما قبلها والتكرار يقتضيه ويحتمه سياق القصة نفسها وانها ذكرت للاتعاظ والاعتبار .



هذا ولعلى أكون قد وفقت فيها قصدت إليه وكلفت به .
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله .

ما يؤخذ من قصة الاستخلاف من العقائد
جاءت قصة آدم عليه السلام فى سورة البقرة بكثير من العقائد التى يجب الإيمان بها وهى كما يلى :

(١) انظر فيما تقدم مذكرات فى التفسير الموضوعى لفضيلة الشيخ السامحى .

١ - الإيمان بالله وملائكته ورسله والجنة والنار . قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ المراد بالخليفة آدم عليه السلام وهو أول الرسل إلى الأرض . والرسل جميعاً هم خلفاء الله في أرضه الجديرون بالخلافة . وقد ذكر الله تعالى الجنة والنار في هذه القصة فيجب الإيمان بهما .

٢ - اعتقاد حرمة سفك الدماء والفساد في الأرض . قال تعالى : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ .

٣ - اعتقاد أن الله سبحانه وتعالى عليم بكل شيء حكيم في كل ما يفعل قال تعالى : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ .

٤ - اعتقاد أن آدم عليه السلام وزوجه قد كلفهما الله بعدم الأكل من الشجرة «شجرة النہی» .

٥ - اعتقاد أن الله تعالى هو المتفرد بخلق الأفعال ومنها خلق التوبة واعتقاد أنه ليس لأحد غير الله تعالى قبول توبة من أسرف على نفسه وقد ضلت اليهود والنصارى حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فكانوا يأتون الخبر ليحط عن المذنب ذنبه وابتدعوا صكوك الغفران لهذا الغرض وكذبوا فقد قال تعالى ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ وقوله تعالى في تذييل الآية : ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بأسلوب الحصر قاض بأنه هو التواب لا سواه . ومثل هذا في الاستدلال قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾^(١) .

(١) . الآية ٢٥ سورة الشورى .

٦ - اعتقاد أن الله تعالى علم آدم بالأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة .

٧ - اعتقاد الإيمان بالبعث وما يستلزمه من حشر وغيره قال تعالى : ﴿ومنها تخرجون﴾ ..

٨ - اعتقاد أن الكل من الله تعالى خلقاً وإيجاداً وإن من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم . قال تعالى حكاية عن إبليس ﴿فما اغويته﴾ لا يقال أن إبليس كان مخطئاً في إسناد الغواية إلى الله تعالى كما يقول المعتزلة فقد قال نوح عليه السلام وهو نبي معصوم لقومه ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون﴾^(١) وقال موسى عليه السلام : ﴿إن هي إلا فتنتك تفضل بها من تشاء وتهدي من تشاء﴾ .

٩ - وجوب الاعتقاد أن الخلافة من أمور الدين ومن مهماته إذ بها يكون صلاح الدنيا والدين قال تعالى : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ .

١٠ - وجوب الإيمان بحقيقة الجن وإبليس . فنكر الجن كافر لأنه رد القرآن وانكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وقد استفاض ذكر الجن وإبليس والشيطان في الكتاب والسنة وأجمعت الأمة على ذلك وقد انكر الجن كثير من الفلاسفة وجماهير القدرية كافة^(٢)

(١) آية ٣٤ سورة هود .

(٢) انظر الباب الأول من كتاب آكام المرجان للعلامة المحدث القاضي بدر الدين عمر عبد الله الشبلي الحنفي فقد أثبت في هذا الكتاب أخبار الجن ورد على من أنكرهم .

١١ - يجب الإيمان بمضمون القصة . في سورة البقرة أو في غيرها من اختصاص في الملائكة الأعلی وتعليم الأسماء لآدم عليه السلام وعجز الملائكة عن معرفة الأسماء دون آدم الذى علمه سبحانه الأسماء كلها وبمحاوراة إبليس لربه ووسوسته لآدم وزوجه عليها السلام فقد ورد ذلك كله فى القصة مع اعتقاد أنه سبحانه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

١٢ - وجوب اعتقاد أن الله على كل شىء قدير وأنه سبحانه لا يحكمه فى الخلق والتكوين ناموس أو قانون فهو جل جلاله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فأدم عليه السلام خلقه سبحانه ابتداء من طين بدون أب . فصار بشراً سوياً وفى هذا رد على النصارى الذين أطروا عيسى عليه السلام وغلوا فيه حتى رفعوه عن مرتبة البشرية وادعوا فيه ما به كفروا وضلوا : قال تعالى : ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ وقال تعالى : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ وقال ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ .

«ما يؤخذ من القصة من الآداب والعظات والعبر» :
القصة ملأى بالآداب والعظات والعبر شأنها شأن بقية القصص فى القرآن الكريم وإليك ما فى قصة آدم عليه السلام بسورة البقرة من ذلك .

١ - عدم الاستبداد بالرأى وتعليم المشورة فى قوله تعالى للملائكة ﴿إني جاعل فى الأرض خليفة﴾ توجيه وتعليم لخلقهم بشأن

المشورة وعدم الاستبداد بالرأى وإن كانت المشورة مستحيلة في حقه تعالى لأنه سبحانه وتعالى بكل شيء عليم .

٢ - إنه لا مانع من أخذ الكبير العلم من الصغير والانتفاع به يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ والكبير حقيقة من صار أهلاً للانتفاع به والتلقى عنه وإن كان صغيراً . وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التقت عليه المحافل وأخذ الكبير من الصغير كثير جداً في تاريخ الإنسانية عامة وتاريخ الإسلام خاصة ومنه عند المحدثين ما يسمى رواية الأكاابر عن الأصاغر .

٣ - اهتبال فرصة الاستفادة واقتناصها إذا سنحت بحميل العرض وأدب الطلب يؤخذ ذلك من قوله تعالى : ﴿ أَنْجِمْ فِيهَا مِنْ يَفْسُدَ فِيهَا وَيَسْفِكَ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نَسِيحٌ بِحَمْدِكَ وَنَقْدُسُ لَكَ ﴾ . حيث أن الملائكة أرادت بذلك معرفة الحكمة من استخلاف آدم كما انها عرضت باستخلافها إشفاقاً من معصية الله تعالى من بنى آدم في الأرض .

٤ - ومن الآداب رد الطالب رداً جميلاً إذا لم يجب لما طلب ولم يمنح ما سأل ومأخذ ذلك قوله تعالى للملائكة ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

٥ - توضيح الجواب بتفصيل مجمله وبسط موجزه إذا اقتضى الحال ذلك والمأخذ لذلك قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ حيث وضح لهم سبحانه بذلك ما اجابهم

به أولاً من قوله : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

٦ - حسن الاعتذار من المسئول إذا لم يوفق للإجابة عما سئل عنه والمأخذ لذلك قول الملائكة ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ الآية بعد عجزهم عن الإنباء المطلوب منهم في قوله تعالى : ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

٧ - إظهار فضل ذوى الفضل والتنويه بشأنهم تعظيماً لمن عظمه الله تعالى وتكريماً لمن أكرمه الله يدل على ذلك قول الله تعالى باظهار فضل آدم عليه السلام ويؤخذ هذا الأدب أيضاً من السنة النبوية الشريفة كما قال ﷺ فيما رواه مسلم باظهار فضل أبي بكر رضى الله عنه «لو كنت متخذاً من أمتي أحداً خليلاً لآخذت أبا بكر» (١) .

٨ - أن يبادر الإنسان بالرجوع إلى التوبة والاستغفار إذا حصل له وقع منه ما يوجب ذلك فإن التوبة والاستغفار والرجوع إليه تعالى حيث سبب في القبول والعفو والصفح والاکرام منه تعالى .

٩ - أن لا يغتر الإنسان بالطاعة ولا يقنط بالمعصية من رحمة الله تعالى بل يكون مع ربه دائماً بالخوف منه والهرب إليه كما يؤخذ ذلك من حال آدم عليه السلام بعد الأكل من الشجرة حيث لجأ إلى الله تعالى في قبوله وطلبه من الله أن يغفر له فكان ما كان من توبة الله تعالى عليه وتكريمه باستخلافه في الأرض . ومن حال إبليس في لجه وعناده بعد عصيانه وامتناعه عن السجود لآدم كما أمره الله .

(١) أخرجه مسلم بطرق متعددة في فضائل الصحابة ج ٧ ص ١٠٩ طبعة كتاب الشعب .

وقد أداه إلى ذلك غروره بعبادته ورؤيته لنفسه وانه أفضل من آدم عليه السلام .

١٠ - أن يكون الإنسان على خوف شديد من مكر الله وأن يطلب العصمة من الله تعالى فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون فهذا إبليس قد صار إلى ما صار إليه مع كثرة عبادته واشتغاره بذلك بين الملائكة فأبى واستكبر وكان من الكافرين . يقول الألوسي : «وأظاير القضاء إذا حكمت أدمت وإذا رمت أصمت» .

١١ - إن العلم أعظم رتبة واسمى منزلة وأجمل حلية يتحلى بها الإنسان فقد فضل الله سبحانه آدم عليه السلام على الملائكة بعلمه الأسماء وجعله خليفة في الأرض بسبب ذلك دون الملائكة المقربين .

١٢ - وجوب احترام العلماء وتوقيرهم ومعرفة فضلهم . يؤخذ ذلك من توقير الملائكة لآدم عليه السلام واعترافهم بفضله ومترلته وسجودهم له تكريماً وتعظيماً كما أمرهم الله سبحانه .

وفي الأحياء للغزالي قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا بن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس هكذا أمرنا الله أن نفعل بالعلماء والكبراء فقليل زيد بن ثابت يرد وقال هكذا أمرنا^(١) الله أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ .

١٣ - وما يؤخذ من هذه القصة من الآداب أن من سئل عن

(١) الأحياء للغزالي ج ١ ص ٤٤ والحدیث صحیح علی شرط مسلم كما ذكر العراقي في التعليق عليه .

علم لا يعلمه أن يقول الله أعلم ومأخذ ذلك قول الملائكة ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ بعد قول الله تعالى لهم ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ وقول العالم الله أعلم دليل على فقهه وفضله وورعه . وفي القرطبي : وكان علي رضي الله عنه يقول : وأبردها على الكبد ثلاث مرات . فقالوا وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أن يسأل الرجل عما لا يعلم . فيقول الله أعلم ^(١) .

ما يؤخذ من القصة من الأحكام الشرعية العملية :
مما يؤخذ من قصة آدم بسورة البقرة من الأحكام الشرعية ما يأتي :

- ١ - وجوب إقامة الخلافة ونصب الخليفة على الأمة وجوبا كفاً وهي في ذلك شأنها شأن الوظائف الدينية أو الدنيوية التي يتوقف عليها صلاح حال الأمة كالطب والهندسة والقضاء والجهاد . وغير ذلك من الأمور الدينية أو الدنيوية التي لا بد منها في الحياة واستقامتها والمأخذ لوجوب نصب الخليفة قوله تعالى : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ والآية وإن كانت خبراً فإنها تفيد حكماً شرعياً لأنها خبر من الشارع عن حكم الشرع كقوله تعالى : ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ وكقوله تعالى : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ .
- ٢ - حرمة القتل ظلماً وعدواناً وما يؤدي إليه من ضرب أو

(١) القرطبي كتاب الشعب ص ٢٤٤ عند تفسير ﴿قالوا سبحانك لا علم لنا﴾ الآية .

جرح كذلك كما يؤخذ منها أيضاً أن الإفساد فى الأرض بالتصرف الذى يضر النفس أو الغير أو يعود على المجتمع بالضرر أياً كان ذلك الضرر كالسب والشتم والطعن فى الأعراض والغيبة والنميمة وكل ما اشتمل على فساد ومثل ذلك فى الحرمة الإفساد المادى كاحراق الزرع أو إغراقه أو اتلاف حيوان محرم شرعاً أو عرقته أو إراقة الماء المعد للشرب المحتاج إليه أو إفساده أو قرض الدراهم والدنانير أو تكسيها . ولذلك شرع الحجر على المجنون والصبي والسفيه وشرع التعذير لن يتسبب فى شىء من الإفساد أو مباشرته حيث لا ضمان لأحد فإن كان ضمان لأحد ففى الردع بذلك الكفاية والمأخذ لذلك قول الملائكة . ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نَسْبِحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ حيث قالت ذلك إشفاقاً من وقوع المعصية من بنى آدم بالافساد فى الأرض وسفك الدماء ولم ينكر المولى عليهم إنكارهم الفساد وسفك الدماء وإنما أخبرهم بأن هناك من الحكم والمصالح ما لا يترك لأهميته من أجل الفساد وسفك الدماء فقال سبحانه ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

٣ - ومن الأحكام التى استنبطها المالكية أن المعلق يقع بوقوع المعلق عليه فى اليمين بالله والطلاق والنذر لطاعة اخذوا ذلك من قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (بسورة البقرة) ومن قوله تعالى ﴿فَلَا يَخْرُجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (بسورة طه) .

٤ - إن الأمر المعلق على فعل صادر من شخصين لا يقع إلا بحصوله منها أخذاً من قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا

من الظالمين» حيث لم يحصل ما حصل لها من بدو السوءة إلا بعد أكلها معاً قال تعالى : ﴿فَأَزَلُّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ بسورة البقرة .

٥ - صحة استثناء الشيء من غير جنسه عند الشافعى رضى الله عنه مطلقاً فى المثليات والمقومات حتى لو قال لفلان على دينار إلا ثوباً أو عشرة أثواب أو مدّ حنطة وما جانس ذلك مقبولاً ويسقط عنه مما أقربه قيمة الثوب أو الحنطة . وأجاز مالك استثناء المكمل من الموزون أو الموزون من المكمل أما إستثناء المقومات من الموزونات أو المكيلات فلا يجوز والمقومات هى كل ما لا يباع وزناً أو كَيْلاً أو عداً مما يقصد لذاته وتقدر قيمته بالوصف أو الرؤية والمثليات هى كل ما يباع كَيْلاً أو وزناً أو عدداً والمأخذ لذلك مما ذهب إليه مالك والشافعى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ حيث استثنى إبليس من الملائكة وهو ليس منهم . وهناك قول فى مذهب مالك باستثناء الشيء من غير جنسه مطلقاً كما أطلق الشافعى فقد قال ابن جزى فى كتابه القوانين الفقهية فإن استثنى من غير الجنس كقوله ألف إلا ثوباً صح الاستثناء على المشهور وذكر قيمة الثوب فأخرجت من الألف وقيل استثناءه باطل» فى المذهب قولان فى استثناء الشيء من غير جنسه مع عدم المشاكلة بين المستثنى والمستثنى منه قول بالصحة وهو المشهور وقول بعدمها وهو ما يقابل المشهور .^(١)

٦ - وجوب دفن الميت فى الأرض وجوباً كفاً فلا يجوز طرحه

(١) القوانين الفقهية فى الفصل الثالث من باب الاقرار ص ٣٨ .

مكشوفاً ولا إلقاؤه في البحر حيث أمكن دفنه في البر قبل تعفنه إن مات في السفينة فإن خيف تعفنه التقي في البحر بعد غسله وتكفينه والصلاة عليه وكذا لا يجوز طرحه للسباع أو إحراقه مهما كان الغرض من إحراقه كما يفعله جهلة النيرفانا من الهنود لأن ذلك كله يناقض تكريم الله للإنسان حياً وميتاً . والمأخذ لهذا الحكم قوله تعالى ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ بناءً على أن المراد بالمستقر القبر والحين البعث .

٧ - اعتبار الذرائع في أصول التشريع فالعمل بالذرائع أخذ به الأئمة ومنهم مالك والذرائع الوسائل وزناً ومعنى والذريعة تأخذ حكم ما تؤدي إليه فالذريعة إلى الواجب واجبة والذريعة إلى الحرام محرمة فالذرائع معتبرة فتحاً وسدّاً ويؤخذ هذا الأصل من قوله تعالى : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ بيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما نهى عن الأكل من الشجرة نهاه عن القرب منها لأن القرب منها وسيلة إلى الأكل المنهى عنه لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالله سبحانه وتعالى قد نهى آدم عليه السلام من الأكل من الشجرة بلفظ يقتضي الأكل وما يدعو إليه وهو القرب . وقال ابن عطية وهذا مثال بين في سد الذرائع ^(١) .

القصص القرآني أحسن القصص :

القصص القرآني أحسن القصص وأحسن الحديث بمقتضى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما

(١) القوانين الفقهية لأبي جزي ص ٢٣٨ .

أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴿١﴾ وقوله جل جلاله ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ (٢) . وإنما كان القصص القرآني أحسن القصص وأحسن الحديث لأنه قصص حق لا شك فيه وصدق مصنى لا ريب يعتريه ولا يشوبه خيال ولا يتطرق إليه احتمال يحكى الحقيقة والواقع بدون زيف أو شطط وبلا قصور أو تقصير يوجه إلى الخير ويدل عليه يحمل بين طياته العبرة والعظة هدفه الإصلاح والنسك والأخذ بالفضيلة والأخلاق الكريمة والتجافي والبعد عما لا يجوز من عقيدة أو عمل فهو يهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع الإنساني كله واسعاد البشرية جمعاء وقصص هذا شأنه جدير أن يهتدى بنبراسه وأن يتخذه الدعاة والمصلحون وسيلة لأغراضهم السامية ببيانه للناس أتم بيان وبالكشف عن اسراره وبيان ما يؤخذ منه من عبر واعظات وبالبحث عن دقيق مراميه والاستنباط من آياته ومبانيه . والاعتبار بحوادثه ووقائعه لصلاح الحال والمآل وسعادة الدنيا والآخرة . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (٣)

وقصة آدم عليه السلام واحدة من ذلك القصص تحمل بين

(١) آية ٣ سورة يوسف . (٢) آية ٢٣ من سورة الزمر .

(٣) آخر سورة يوسف .

طياتها الكثير من العبر والعظات والأهداف السامية والغايات النبيلة وإليك هذه الأهداف باختصار .

الأهداف التي قصدت إليها قصة آدم عليه السلام :

١ - إثبات رسالة نبينا محمد ﷺ حيث أنه عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجلس إلى معلم قط من علماء أهل الكتاب ومع هذا فقد جاء بالكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد والذي فيه قصص السابقين وأخبار الماضين . وقد أشار سبحانه إلى هذا الهدف قبل قصة آدم عليه السلام بسورة (ص) فقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ . مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ . إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ وهذا هدف كل قصة من قصص القرآن الكريم لذا نبه عليه سبحانه أكثر من مرة في أكثر من قصة فنبه عليه سبحانه في قصة موسى عليه السلام بسورة القصص وعقب قصة نوح في هود وفي قصة مريم بسورة آل عمران قال تعالى في قصة موسى بسورة القصص ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرَىٰ إِذْ قُضِيَنا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ^(١) وقال سبحانه وتعالى في تلك السورة أيضاً : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَةً مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٢) وقال تعالى في سورة هود : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنْ

(١) آية ٤٤ سورة القصص .

(٢) آية ٤٦ سورة القصص .

العاقبة للمتقين ﴿١﴾ وقال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ ﴿٢﴾ .

٢ - عناية الله برسوله محمد ﷺ وتكرمه حيث أخبره بقصة آدم عليه السلام تقوية لعزمته والهاباً لحماسه على الصبر ومواجهة أعباء الرسالة وتهوئاً مما يعانیه ﷺ من محن وعناء في سبيل الدعوة إلى الله فأدم عليه السلام قد ابتلى وامتنحن وكان من امره ما كان وكانت العاقبة له ولذلك قال سبحانه لنبیه ﷺ في سورة هود بعد انتهاء قصة نوح عليه السلام ﴿فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ .

٣ - ومن أهداف قصة آدم عليه السلام بيان وجوب طاعة الله تعالى والخوف منه واللجوء إليه في طاعته واللجوء إليه الرضا والقبول منه سبحانه وسعادة الدارين . وإن معصية الله ورد امره فيها البوار والهلاك وخسارة الدارين والعياذ بالله تعالى .

٤ - بيان عاقبة التقوى والصلاح وعاقبة الفجور والفساد وبيان أن العاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على القوم الظالمين ..

٥ - تنبيه بنى آدم إلى وجوب الحذر من الشيطان وتحذيرهم منه وبيان انه لهم عدو مبین فقد أبرز سبحانه عداوة إبليس لبنى آدم عن طريق قصة أيهم آدم عليه السلام ليعرفوا مدى عدوانه لأيهم فقد تسبب في شقائه وشقائهم باخراج أيهم من الجنة ثم قعد لهم بالمرصاد لإفسادهم وإضلالهم واقسم على ذلك فقال فيما حكاه الله

(١) آية ٤٩ سورة هود .

(٢) آية ٤٤ سورة آل عمران .

عنه : ﴿فَمَا أَغْوَيْتَ لِأَقْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لَأَنبِيَهُمْ مِنْ
بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَاكِرِينَ﴾ (١) .

- تلك أهم أهداف قصة آدم عليه السلام وبيانها يكون قد
تم بدر تمامها وفاح مسك ختامها . أسأل الله تعالى أن يجعل عملي
هذا خالصاً لوجهه الكريم موصولاً لمرضاته والفوز بجنته إنه هو
السميع العليم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تأليف

أبو محمد

د . علي محمد نصر

أستاذ بجامعة أم القرى - معهد اللغة العربية سابقاً
أستاذ ورئيس قسم التفسير - كلية أصول الدين بأسبوط

(١) الآيات ١٦ - ١٧ سورة الأعراف .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
١ - التقديم	٥
٢ - بين يدي البحث	٧
٣ - عرض قصة استخلاف آدم عليه السلام	٨
٤ - الحكمة في خلق آدم عليه السلام	٢٤
٥ - عناصر الطين في الإنسان	٢٩
٦ - الشبهات الواردة على وجود الله تعالى ونقضها	٣٠
٧ - الرد على الشبهة القائلة إن أصل الإنسان	
قرود ترقى	٤١
٨ - رد ما احتج به الامامية في النص على	
الإمام على رضي الله عنه	٤٧
٩ - المراد بالتعليم والأسماء	٥٥
١٠ - هل آدم هذا أبوالبشر ولم يكن أحد	
قبله من جنسه	٥٧
١١ - هل الملائكة أفضل أم بنو آدم ؟	٦٣
١٢ - المراد بالسجود لآدم عليه السلام	٦٥
١٣ - متى كان هذا الأمر بالسجود	
ومن أى أنواع الأمر هو	٧٠
١٤ - من أين خلقت حواء	٧٦

٧٧ ١٥ - الخلاف في جنة آدم عليه السلام
٨٨ ١٦ - هل ما حصل من آدم عليه السلام معصية
٩٧ ١٧ - تعقيب يتعلق بقصة الاستخلاف
١٠٢ ١٨ - ما يؤخذ من قصة الاستخلاف من العقائد
١٠٥ ١٩ - ما يؤخذ من القصة من الآداب والعظات والعبر
 ٢٠ - ما يؤخذ من القصة من
١٠٩ الأحكام الشرعية العملية
١١٢ ٢١ - القصص القرآني أحسن القصص
 ٢٢ - الأهداف التي قصدت إليها قصة
١١٤ آدم عليه السلام
١١٧ ٢٣ - فهرست قصة استخلاف آدم عليه السلام
١١٩ ٢٤ - مراجع قصة استخلاف آدم عليه السلام

مراجع قصة استخلاف آدم عليه السلام

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - تفسير الفخر الرازي .
- ٣ - تفسير ابن كثير .
- ٤ - تفسير أبي السعود .
- ٥ - تفسير القرطبي .
- ٦ - تفسير الطبري .
- ٧ - تفسير البيضاوي .
- ٨ - تفسير الألوسي .
- ٩ - تفسير الجلالين .
- ١٠ - تفسير المنار .
- ١١ - تفسير محمد فريد وجدى .
- ١٢ - حاشية الجمل على الجلالين .
- ١٣ - حاشية الصاوى على الجلالين .
- ١٤ - حاشية الشهاب على البيضاوى .
- ١٥ - أحكام القرآن لابن العربي .
- ١٦ - مذكرات في التفسير الموضوعى لفضيلة الشيخ السامحى .
- ١٧ - مذكرات في التفسير الموضوعى لفضيلة الشيخ عبدالرحيم فرغل البلينى .
- ١٨ - صحيح البخارى .

- ١٩ - صحيح مسلم .
- ٢٠ - صحيح الترمذى .
- ٢١ - مستدرک الحاكم .
- ٢٢ - دلائل النبوة للبيهقى .
- ٢٣ - شرح صحيح الترمذى لابن العربى .
- ٢٤ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألبانى .
- ٢٥ - احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى .
- ٢٦ - المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار للعراقى .
- ٢٧ - حادى الأرواح إلى معالم الأفراح لابن القيم .
- ٢٨ - العواصم من القواصم لابن العربى .
- ٢٩ - أحكام المرجان فى اخبار الجان للقاضى بدر الدين الشبلى .
- ٣٠ - اتخاف ذوى النجاة بما فى القرآن والسنة من فضائل الصحابة لمحمد العربى السطيفى المغربى .
- ٣١ - آدم عليه السلام - للبهى الخولى .
- ٣٢ - قصص القرآن الكريم للأستاذ محمد أحمد جاد المولى .
- ٣٣ - قصص الأنبياء - للثعالبى .
- ٣٤ - قصص الأنبياء - لعبد الوهاب النجار .
- ٣٥ - قصص الأنبياء - لابن كثير .
- ٣٦ - لواء الاسلام - عدد قديم .
- ٣٧ - القوانين الفقهية لابن جزى المالکى .
- ٣٨ - النفحة الأحمدية فى بيان الأوقات المحمدية لأبى العباس أحمد بن الشمس .
- ٣٩ - الميزان - للشعرانى .
- ٤٠ - الملل والنحل - للشهرستانى .

- ٤١ - شرح الجوهرة - للبيجورى .
- ٤٢ - الفروق - للقرافى .
- ٤٣ - اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس لمحمد دياب الاتليدى .
- ٤٤ - حقيقة الديانة الاسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية للأستاذ حسين الجسر .
- ٤٥ - كتاب فلسفة النشوء والارتقاء لشبلى شميل .
- ٤٦ - الخصائص الكبرى للسيوطى .
- ٤٧ - شرح ألفاظ التحيات لابن الخيمى .
- ٤٨ - الوفا لابن الجوزى .
- ٤٩ - التعليق على القرطبي «كتاب الشعب» .
- ٥٠ - البداية والنهاية لابن كثير .
- ٥١ - مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوى المالكى .
- «والحمد لله الذى بنعمته تم الصالحات»
- وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..
- د . على محمد نصر

صدر من هذه السلسلة

- ١ - تأملات في سورة الفاتحة - الدكتور حسن باجودة
- ٢ - الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه - الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٣ - الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين - الأستاذ نذير حمدان
- ٤ - الاسلام الفاتح - الدكتور حسين مؤنس
- ٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري - الدكتور حسان محمد مرزوق
- ٦ - السيرة النبوية في القرآن - الدكتور عبد الصبور مرزوق
- ٧ - التخطيط للدعوة الاسلامية - الدكتور محمد علي جريشة
- ٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية - الدكتور أحمد السيد دراج
- ٩ - التوعية الشاملة في الحج - الأستاذ عبد الله بوقس
- ١٠ - الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره - الدكتور عباس حسن محمد
- ١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم - د. عبد الحميد محمد الهاشمي
- ١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل - الأستاذ محمد طاهر حكيم
- ١٣ - مولود على الفطرة - الأستاذ حسين أحمد حسون
- ١٤ - دور المسجد في الاسلام - الأستاذ محمد علي مختار
- ١٥ - تاريخ القرآن الكريم - الدكتور محمد سالم محيسن
- ١٦ - البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام - الأستاذ محمد محمود فرغلي
- ١٧ - حقوق المرأة في الاسلام - الدكتور محمد الصادق عفيفي
- ١٨ - القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١] - الأستاذ أحمد محمد جمال
- ١٩ - القراءات أحكامها ومصادرها - الدكتور شعبان محمد اسماعيل
- ٢٠ - المعاملات في الشريعة الاسلامية - الدكتور عبد الستار السعيد
- ٢١ - الزكاة فلسفتها وأحكامها - الدكتور علي محمد العماري
- ٢٢ - حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم - الدكتور أبو اليزيد العجمي
- ٢٣ - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا - الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- ٢٤ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر - الدكتور عدنان محمد وزان
- ٢٥ - الاسلام والحركات الهدامة - معالي عبد الحميد حمودة

٢٦-	تربية النشء في ظل الاسلام	الدكتور محمد محمود عمارة
٢٧-	مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي	الدكتور محمد شوقي الفنجري
٢٨-	وحي الله	الدكتور حسن ضياء الدين عتر
٢٩-	حقوق الانسان وواجباته في القرآن	حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠-	المنهج الاسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	الأستاذ محمد عمر القصار
٣١-	القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٣٢-	الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج	الدكتور السيد رزق الطويل
٣٣-	الاعلام في المجتمع الاسلامي	الأستاذ حامد عبد الواحد
٣٤-	الالتزام الديني منهج وسط	عبد الرحمن حسن حبيكة الميداني
٣٥-	التربية النفسية في المنهج الاسلامي	الدكتور حسن الشرقاوي
٣٦-	الاسلام والعلاقات الدولية	الدكتور محمد الصادق عفيفي
٣٧-	العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨-	معاني الأخوة في الاسلام ومقاصدها	الدكتور محمود محمد بابلي
٣٩-	النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	الدكتور علي محمد نصر
٤٠-	من التراث الاقتصادي للمسلمين	الدكتور محمد رفعت العوضي
٤١-	المفاهيم الاقتصادية في الاسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢-	الأقليات المسلمة في أفريقيا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٣-	الأقليات المسلمة في أوروبا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٤-	الأقليات المسلمة في الأمريكتين	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٥-	الطريق إلى النصر	الأستاذ محمد عبد الله فودة
٤٦-	الاسلام دعوة حق	الدكتور السيد رزق الطويل
٤٧-	الاسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨-	دخض مفتريات	د. البدر اوي عبد الوهاب زهران
٤٩-	المجاهدون في فطاني	الأستاذ محمد ضياء شهاب
٥٠-	معجزة خلق الانسان	الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١-	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية	الدكتور سيد عبد الحميد مرسي
٥٢-	ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي	الأستاذ أنور الجندي
٥٣-	الشورى سلوك والتزام	الدكتور محمد أحمد البابلي
٥٤-	الصبر في ضوء الكتاب والسنة	اسماء عمر فدعق
٥٥-	مدخل إلى تحصين الأمة	الدكتور أحمد محمد الخراط

الاستاذ أحمد محمد جمال	٥٦- القرآن كتاب أحكمت آياته [٣]
الشيخ عبد الرحمن خلف	٥٧- كيف تكون خطيباً
الشيخ حسن خالد	٥٨- الزواج بغير المسلمين
محمد قطب عبد العال	٥٩- نظرات في قصص القرآن
الدكتور السيد رزق الطويل	٦٠- اللسان العربي والاسلامي معاً في مواجهة التحديات
الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي	٦١- بين علم آدم والعلم الحديث
الدكتور محمد الصادق عفيفي	٦٢- المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان
الدكتور رفعت العوضي	٦٣- من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]
الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة	٦٤- تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد
الشهيد أحمد سامي عبد الله	٦٥- لماذا وكيف أسلمت [١]
الأستاذ عبد الغفور عطار	٦٦- أصلح الأديان عقيدة وشرعة
الأستاذ أحمد المخزنجي	٦٧- العدل والتسامح الاسلامي
الأستاذ أحمد محمد جمال	٦٨- القرآن كتاب أحكمت آياته [٤]
محمد رجاء حنفي عبد المتجلي	٦٩- الحريات والحقوق الاسلامية
الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان	٧٠- الانسان الروح والعقل والنفس
الدكتور شوقي بشير	٧١- كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية
الشيخ محمد سويد	٧٢- الاسلام وغزو الفضاء
الدكتورة عصمة الدين كركر	٧٣- تأملات قرآنية
الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله	٧٤- الماسونية سرطان الأمم
الأستاذ سعد صادق محمد	٧٥- المرأة بين الجاهلية والاسلام

هذا الكتاب ..

■ هذا البحث الذي بين أيدينا يتناول قصة استخلاف آدم عليه السلام في الأرض وهو من الأهمية بمكان .. فهو يرشد الإنسان إلى قدر نفسه ومكانته عند ربه ، وأنه أهل لأن يكون خليفة الله في أرضه دون الجن والملائكة المقربين .

■ ولكي يحقق الإنسان ذلك .. عليه أن يقيم موازين العدل بعد أن يحسن الصلة بينه وبين خالقه الذي نصبه خليفة في الأرض . حتى يكون قد أدى مقتضيات الخلافة التي أنيطت به .

■ وقصة آدم عليه السلام واحدة من القصص القرآني العظيم التي تحمل بين طياتها الكثير من العبر والعظات والأهداف السامية والغايات النبيلة التي يطالعها القارئ الكريم في هذا الكتاب .